# قراءة فكرية نقدية لمشروع "المصحف وقراءاته"

د. ندى بنت حمزة بن عبده خياط (*)

## المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، واتَّبَع هُداه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام لتقوم بهم حُجَّته على خلقه، وأنزل عليهم الكتب هداية ونورًا وتبيانًا لكل شيء، وأرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الهدى، والخاتم الأمين بالقرآن الكريم، مُصَدِّقًا لما أُنزل من قبله ومهيمنًا عليه.

وقد تعاضدت الآيات المحكمات في بيانٍ وتقرير حقيقة هذا الكتاب العزيز الذي أُنزل من السماء إلى الأرض وحيًا مفارقًا لهذا الواقع الأرضي الذي حلَّ به وأُهبط إليه، قال عزَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [سورة الزمر: ٢٣]، وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان:١]، وقد وثق المؤمنون في كتاب ربهم، وكان مصدر عزة ورفعة لهم إبان نهضتهم في عصور شموخهم وسيادتهم.

ومع أن قضية التنزيل واضحة كوضوح الشمس نجد أن أدعياء الحداثة يناقضون هذه الحقيقة ويجادلون فيها، وينادون بتاريخية هذا الكتاب، وبأنه كتاب تشكَّل كباقي الكتب الأخرى في ظرفَيِ الزمان والمكان، وأنه ثمرة الواقع أنتجه بصورته الموجودة في المصحف اليوم، وافتقدوا كل صور الموضوعية العلمية، ولم يتركوا لمتابعٍ منصف لإنتاجهم الفكري بابًا للاعتذار لهم بعذر الجهل أو سوء الفهم.

وقد كان من آخر إصدارات الإنتاج الحداثي المعاصر مشروع "المصحف وقراءاته"، للمدرسة الحداثية التونسية التي يديرها ويشرف عليها حاليًا أستاذ الحضارة الإسلامية الدكتور عبد المجيد الشرفي، وقد وصلتني هذه النسخة في هذا العام من أستاذ جامعي متخصص في الفكر، وقد أثارت لدي فضولًا معرفيًّا وقلقًا علميًّا، ووجدت نفسي مترددة في الشروع في الكتابة والنقد، ولا أُخفي

(*) أستاذ العقيدة المشارك بجامعة طيبة

القارئ الكريم أن سبب تردُّدي في الكتابة هو أن كل ما أُثير من شبهات حول القرآن في مشاريع أدعياء الحداثة نُسَخٌ مكرَّرة، ومحاولات ممجوجة في إعادة صياغتها، وقَوْلَبتها في قوالب جديدة وبرَّاقة، وهي بضاعة تَلُوكها ألسنة العديد من هؤلاء المشكِّكين في الكتب والأبحاث والمراجع وصفحات الإنترنت، وأن الخوف من نفاذ هذه الشكوك إلى بعض الأفئدة الخاوية من أبناء المسلمين، وأن يستغل جهلهم وسوء فَهْم بعضهم، وقلة علمهم ودرايتهم بالعلم الشرعي، رجحت عندي كفة المُضِيِّ في كتابة هذا البحث، والتصدي لما أُثير مجدَّدًا من هذه الشبهات والشكوك، وتدوين بعض الملاحظات على المشروع.

ولأنني سبق وتناولت فكر أصحاب المدرسة الحداثية التونسية في أطروحتي للدكتواره، والموسومة بـ"موقف عبد المجيد الشرفي من الدين والتراث.. دراسة تحليلية نقدية"، رأيت أنَّ مِن إتمام عملي، ومن واجبي تجاه كتاب ربي – عزَّ وجلَّ- نَقْد هذا الإنتاج الأخير، والذي يُعَدُّ آخر صيحات هذه المدرسة التونسية في بحث يُجَلِّي الحق ويزيل الباطل، ووسمت بحثي بـ" قراءة فكرية نقدية لمشروع "المصحف وقراءاته"، وأسأل الله تعالى أن يبارك هذا الجهد، وأن يثيب عليه.

وعن منهج الدراسة الذي تَوَخَّيْتُه: فهو المنهج التحليلي والمنهج النقدي.

وجاءت إجراءات الدراسة على النحو التالي:

- أعمد إلى تحليل الموضوع تحليلًا علميًّا، وبعد الوصول إلى تفكيك كل عناصره وأجزائه أُسَلِّط عليه أضواء النقد العلمي معتمدة المعايير المنهجية الإسلامية.
- ألتزم بالمنهجية العلمية في نقل النصوص وإثبات الأفكار، مجتنبة التعسُّف وبَتْرَ النصوص عن سياقاتها، وملتزمة الأمانة العلمية في ذلك كله.
- أحاول قَدْرَ الإمكان أن ألتزم بقواعد البحث العلمي المقرَّرة، ومعاييره المعتبَرة من توثيق المادة العلمية من مصادرها الأصلية ما أمكن، سواءً من كتب أو دوريات علمية، أو مصادر على الشبكة العنكبوتية، وكذلك ترجمة الأعلام سوى المشاهير منهم عند أول موضع يَرِدُ ذكرهم فيه من البحث، وكذلك التعريف بأهم المصطلحات، وتوثيق بيانات الكتب التي أنقل منها كاملة عند أول ذِكْر لها.

**وخطة الدراسة هي:**

- **مقدِّمة: فيها بيان لأهمية الدراسة وهدفها ومنهجها وإجراءات البحث.**
- **والمبحث الأول: التعريف بمشروع "المصحف وقراءاته".**
- **والمبحث الثاني: مصادر المشروع.**
- **والمبحث الثالث: الأصول الفلسفية للمشروع.**
- **والمبحث الرابع: توظيف مباحث علوم القرآن الكريم في القراءة التاريخية، وفيه تسعة مطالب، هي:**
- **المطلب الأول: جَمْع القرآن وتدوينه.**
- **والمطلب الثاني: اكتمال القرآن الكريم في المصحف.**
- **والمطلب الثالث: القراءات.**
- **والمطلب الرابع: ترتيب الآيات في القرآن الكريم.**
- **والمطلب الخامس: وقوع النَّسْخ في القرآن الكريم.**
- **والمطلب السادس: المكي والمدني.**
- **والمطلب السابع: أسباب النزول.**
- **والمطلب الثامن: الرسم العثماني للمصحف.**
- **والمطلب التاسع: التكرار.**
- **ثم الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.**
- **ثم قائمة المصادر والمراجع.**
- **وفهرس لموضوعات البحث.**

**هذا وأسأل الله التوفيق والعون والسداد.**

## المبحث الأول

## التعريف بمشروع "المصحف وقراءاته"

### أولاً: التعريف بموضوع المشروع:

إن مشروع "المصحف وقراءاته" هو طباعة حداثية للمصحف يقع في خمسة مجلدات كبيرة ذات قطع كبير، والجزء الأول منه هو تقديم للكتاب، وبيان للمنهج وطريقة العمل، وباقي الأجزاء هي عبارة عن سور وآيات القرآن الكريم، وهو كتاب واضح من عنوانه "المصحف وقراءاته"، فهو يعتبر ولأول مرة طبعة تاريخية نقدية للقرآن، خُصِّص لكلِّ سورة من سور القرآن الكريم مقدِّمة عامَّة، جُمِع فيها ما تعلَّق بمختلف أسمائها إذا تعدَّدت، والمكِّي والمدني منها، وعدد آياتها، وترتيبها حسب النزول في المصادر القديمة، وفي عدد من الدراسات الاستشراقية الحديثة.

وحُرِص في إخراج الكتاب على إثبات كلِّ آيات المصحف بالخط العثماني، وبروايةِ حفص عن عاصم، ثم وُضِع تحت كل آية الرسم الإملائي المتداول اليوم لكل آية.

أما عن ترتيب المادَّة المثبَتة في الكتاب وتحت كل سورة من القرآن فكان ترتيبًا تاريخيًّا وفق وفاة المصنِّف الَّذي أُخِذَت عنه القراءة، أو سبب النزول، أو غيرهما[1].

### ثانيًا: التعريف بفريق العمل في المشروع:

أعدَّ هذا المشروع مجموعة من الباحثين بإشراف المفكر عبد المجيد الشرفي، وقد استغرق إنجاز المشروع أكثر من عشرة أعوام قام به فريق مكوَّن من عشرة باحثين من قسم الحضارة الإسلامية بالجامعة التونسية من المتخصصين في الفكر، والمنتمين إلى وحدة البحث "التشريع في الأحوال الشخصية"[2]، والنتيجة التي خلصوا إليها أنه لا يوجد مصحف واضح مقدَّس، بل توجد شبكة معقَّدة من النصوص تحمل آثارًا من تاريخها الخاص، ومن بيئة مؤلِّفيها السياسية والاجتماعية والدينية.

والمشرف على المشروع هو عبد المجيد الشرفي: وهو مفكر تونسي، وأستاذ الحضارة الإسلامية في الجامعة التونسية، وُلِد سنة ١٩٤٢م بمدينة

---

(١) انظر: المصحف وقراءاته، تصنيف مجموعة من الباحثين، إشراف: الدكتور عبد المجيد الشرفي، ط١، ٢٠١٦م، الرباط، لبنان، الموزع المعتمد: المركز الثقافي للكتاب، الناشر: مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، (٢٤/١).

(٢) انظر: المصحف وقراءاته (٨/١).

**صفاقس بتونس.**

**وحصل على شهادة البكالوريوس من الجامعة التونسية سنة ١٩٦٠م، ثم حصل على الإجازة في اللغة والآداب العربية من الجامعة التونسية سنة ١٩٦٣م، ثم حصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة التونسية أيضًا سنة ١٩٨٢م[١]، وله العديد من المؤلفات، التي منها: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، الإسلام والحداثة، تحديث الفكر الإسلامي، لَبِنات في قراءة النصوص، لَبِنات في الثقافة والمجتمع، مستقبل الإسلام في الشرق والغرب (بالاشتراك)، الثورة والحداثة والإسلام، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر "رسالة دكتوراه".**

**ومشروع الشرفي الفكري هو مشروع يسعى فيه إلى تحديث الإسلام، ومصالحته مع معطيات الحداثة الغربية المعاصرة[٢]، ويدعو الشرفي في أبحاثه إلى ضرورة تجاوز المنظومة الإسلامية بكاملها، ويسعى إلى التعامل مع الدين الإسلامي كظاهرة دينية لا تختلف عن غيرها من الأديان، وقد استطاع الشرفي أن يكوِّن مجموعة من التلامذة في الجامعة التونسية الذين سعوا إلى تحويل فكره وتطبيق منهجه في دراسات أكاديمية عديدة، وكان منهم فريق العمل في تقديم مادة هذا المشروع المتعلق بعلوم القرآن والقراءات، والعجيب أنه ليس منهم من هو متخصِّص في علم القراءات أو التفسير، أو حتى له صلة بعلوم القرآن الكريم! وقد جوَّزوا لأنفسهم أن يتكلموا في علمٍ له رجالُه الذين يحذقون قواعده وضوابطه، ويُتْقِنون أصوله ومبادئه.**

### ثالثًا: المؤسسات الداعمة للمشروع:

**ذكر الشرفي في مقدمة المشروع أن مؤسسة كونراد أديناور[٣] هي الراعي الرسمي المموِّل لرحلات أعضاء الفريق إلى اليمن للاطلاع على ما في مكتباته من مخطوطات ورقوق، وأن رابطة العقلانيين[٤] العرب هي التي كان لها الفضل**

---

(١) انظر: أعمال مهداة للأستاذ عبد المجيد الشرفي، ط١، ٢٠١١م ، (ص٣).

(٢) انظر: أعلام الفكر العربي، "مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة"، د. السيد ولد أباه، ط١، ٢٠١٠م، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (ص١٤).

(٣) مؤسسة كونراد أديناور هي مؤسسة سياسية غير ربحية، انبثقت من "جمعية العمل التعليمي المسيحي الديمقراطي" التي أُسِّسَت سنة ١٩٥٥م، تنشط المؤسسة في أكثر من ١٢٠ دولة، كما أن لديها ١٦ مكتبًا في ألمانيا، وأكثر من ٨٠ مكتبًا في بلدان أخرى، راجع رابط المؤسسة: https://www.kas.de/de/home

(٤) مؤسسة غير ربحية فكرية تهدف إلى المساهمة في نشر الفكر النَّقديِّ العلماني، وإلى دعم

**في التمويل، وقد وافق الراعي اللبناني على تمويل الطباعة متعدِّدة الألوان للمشروع في الرباط، وهو من إصدارات الناشر مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث[1]، وقد فاز بجائزة أفضل إخراج للكتاب في معرض بيروت العربي الدولي للكتاب في دورته الستين في ٢٠١٦م[2].**

**رابعًا: خطورة المشروع:**

**وهنا إجابة عن تساؤل هو: لماذا القراءة الفكرية لهذا المشروع الفكري دون غيره؟ والإجابة عن ذلك: لأن هذا المشروع يمثِّل أحد مشاريع الحداثة التي تستبدل القطيعة مع التراث بالعناية والاهتمام به؛ قراءة ونقدًا ومراجعة، ومن أهم مجالات التراث هو النص القرآني الذي يعتبر النص التأسيسي للدين الإسلامي.**

**كما أن المشرف على المشروع هو من أبرز الحداثيين في هذا المجال، ويتميَّز بقدرة وكفاءة بحثية، فالشرفي أستاذ في البحث العلمي، وذو خبرة واطِّلاع على أحدث المناهج الغربية في العلوم الإنسانية.**

**ولم يكن الشرفي وحده في كتابة هذا المشروع وإخراجه، إنما هو مشروع بحثي أكاديمي تطبيقي، يقام في قسم الحضارة الإسلامية بالجامعة التونسية في بحوث الدراسات العليا.**

**وتتجلى خطورة المشروع مقارنةً بغيره من المشاريع الحداثية الأخرى، وتكمن في مجاوزته لنقد الأنظمة المعرفية التي تجلَّت في التراث الإسلامي إلى نقد القرآن ذاته.**

---

مشروع التنوير العربي، ومنبر رابطة العقلانيِّين العرب هو موقع "مجلة الأوان" الآن. راجع رابط المؤسسة: https://bit.ly/322yPKr.

(١) تأسَّست في مايو ٢٠١٣ لنشر العلمانية والقراءة الحداثية للتراث الإسلامي، وتهدف إلى تنسيق ودعم التواصل والتعاون بين الباحثين والمفكرين والمؤسسات الذين تتقاطع اهتماماتهم وأعمالهم مع رسالة المؤسسة، راجع رابط المؤسسة: https://www.mominoun.com/contacts/aboutus.

(٢) https://bit.ly/37Cl4mS.

**وقد تحدَّثت المستشرقة البرلينية "أنغليكا نويفرت"[١] في حوار أُجري معها عن قيمة وأهمية هذا المشروع، فذكرت أنها ترى أنَّ هذه الطبعة الجديدة للمصحف ليست مجرَّد إنجاز أكاديمي رائد فحسب، بل تعتبرها كذلك اختبارًا حقيقيًّا للشجاعة، وتقول: (السلفيون لا يريدون معرفة أنَّ للقرآن تاريخًا أرضيًّا)، ثمَّ تضيف أنَّ آيات العنف على سبيل المثال لم تأتِ من السماء، بل لها سياق تاريخي محدَّد، ومن يعرفه فقط هو الذي يفهم القرآن فهمًا صحيحًا، وتقول أيضًا: (القرآن ليس كتابًا، بل حدث، يحمل آثار النقاشات التي كان يخوضها محمد مع جماعته، هذه الطبعة التونسية تجعل القرآن مقروءًا بصورة صحيحة: كمجال لأصداء زمنه) [٢].**

**والمشروع يُبهر القارئ لأول وهلة، ويُشْعِره بأنه أمام مشروع علمي ضخم متجذِّر في العلمية والجدة؛ للغته الجريئة غير المعهودة في الكتابات العربية والمشاريع النقدية السابقة، ولكون أصحابه يقدِّمونه على أنه نتاج جهد ضخم وبحث شاقٍّ، وتنقيب في الوثائق والمخطوطات، وخصوصًا مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء، ولمدة طويلة[٣]، فأصحاب المشروع يُحْسِنون فنون الدعاية والإعلان لمشروعهم ويجيدونها.**

**وفي ندوة تقديم المشروع للقراء بتاريخ ٩ مارس ٢٠١٧م والمنشورة على قناة "اليوتيوب" تقول الباحثة: "نائلة السليني"[٤]: (فكم نفد منا الصبر، وكم**

---

(١) باحثة وأكاديمية ألمانية، تشغل منصب أستاذة الدراسات العربية والقرآنية بجامعة برلين الحرة بألمانيا، حاصلة على الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، ومهتمة بالدراسات القرآنية، شغلت مجموعة من الوظائف، وأشرفت على العديد من المشاريع العلمية، وحازت على العديد من الجوائز، لها عدة دراسات ومقالات، من بينها: "القرآن بوصفه نصًّا من نصوص العصور القديمة المتأخرة". انظر: مؤمنون بلا حدود، من الرابط: https://www.mominoun.com/auteur/1297.

(٢) مقال عنوانه: "التنوير في الإسلام والغرب من منظور الخبيرة الألمانية أنغليكا نويفرت"، للباحثة: أنيته شتاينيش، ترجمة: رائد ألبا، صحيفة نويه تسوريشر تسايتونغ، موقع قنطرة ٢٠١٨م، من الرابط: https://bit.ly/2V0zbjw .

(٣) انظر: المصحف وقراءاته (١/١٩-٢١).

(٤) أستاذ جامعي تشرف على كلية البحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة بتونس، أطروحتها للدكتوراه هي: تاريخية التفسير القرآني والعلاقات الاجتماعية من خلال نماذج من كتب التفسير. انظر: حوار مع الأستاذة الدكتورة نائلة السليني - الجزء الأول- في استنطاق النصوص، من الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=8z0LIWXz2zE.

**أعيانا العمل، وأُصبنا بالإحباط، وكم بكينا في ذلك المكتب، وكم عانينا من مشقات السفر ونحن بالسفر، وكم أُجبرنا على أن نشق صحن المسجد الكبير بوصاية من شيخه وإمام المسجد، وكنت ربما أنا الحُرمة الوحيدة التي دخلت ذلك المسجد وشققته، ويغلق علينا باب الصومعة من الثامنة صباحًا إلى الخامسة مساءً، وأُذَكِّر الأستاذ عبد المجيد الشرفي -وإن كان نسي ذلك- بقفزات الفئران والجرذان بيننا ونحن نكتشف المخطوطات التي أمامنا، وكان لنا الفضل في أننا أخرجنا الكثير من المخطوطات وقدَّمناها لمن هو مكلَّف في هذا المسجد، وكان بقاؤنا هناك شهرًا كاملًا؛ إذ اكتمل هذا العمل بعد ما يزيد عن عشر سنوات)** [١].

**وللقارئ الكريم أن يتساءل: ما فائدة هذا الجهد، وما قيمة كل هذا البحث عن المخطوطات الكتابية للقرآن الكريم؟ وما قيمة هذه الوثائق التاريخية المتعلقة بالمصحف؟**

**إن أحد أفراد فريق العاملين في المشروع، وهو "المنصف بن عبد الجليل"** [٢]**، يرى أن الصحائف الصنعانية** [٣] **هي بمثابة حلٍّ لتحديث الإسلام، ويقول في حوار أُجري معه: (أريد أن أقول: إنَّ الدراسات القرآنيَّة بأثر من تحقيق المخطوطات اليمنيَّة ستعرف ازدهارًا كبيرًا، ولنعدَّ شبابنا الباحثين لهذه**

---

(١) تقديم مشروع" المصحف وقراءاته" ببيت الحكمة بتونس، من تصدير وإخراج مؤسسة مؤمنون بلا حدود على الرابط:
.https://www.youtube.com/watch?v=6vOnkr37pL0

(٢) هو أستاذ الدراسات العربية والحضارة الإسلامية بجامعة سوسة بتونس، من مؤلفاته: الفرقة الهامشية في الإسلام.

(٣) في عام ١٩٧٢م وأثناء عمليات ترميم سقف المسجد الكبير بصنعاء عثر عمال الصيانة على بقايا أوراق قديمة يبلغ عددها ٤٠ ألف ورقة تبيَّن لاحقًا أنها لمصاحف قرآنية يعود بعضها إلى القرن الأول الهجري مما يجعلها من أقدم المصاحف المكتشفة في العالم حتى الآن، وقد أرسلت الحكومة الألمانية في ثمانينيات القرن الماضي "جيرد بوين ( Gerd Puin) وهو عالم ألماني متخصِّص في دراسة المخطوطات القرآنية"؛ للمساعدة في ترميم وصيانة المخطوطات اليمنية المكتشفة بطلب من إسماعيل الأكوع رئيس هيئة الآثار والمخطوطات سابقًا، وكان موقف "جيرد بوين" من القرآن الكريم موقفًا متناقضًا، فهو يؤمن بتطور النص القرآني باعتباره نصًّا تاريخيًّا كنصوص الكتاب المقدس، ولكنه في نفس الوقت يصرِّح بأن هذه المصاحف الصنعانية لا تختلف عن غيرها من المصاحف الأخرى إلا في تفاصيل لا تمسُّ القرآن كنصٍّ مقروء، وإنما في طريقة كتابته فقط. انظر: مقال: مصاحف صنعاء، لأحمد وسام شاكر، بتاريخ: ٢٤/٤/ ٢٠١٤م، ملتقى أهل التفسير، من الرابط: .https://vb.tafsir.net /tafsir41485/#.XkrC2TJvbIU

**المهمَّة البحثيَّة والعلميَّة بشتَّى الوسائل الأكاديميَّة الممكنة، حتى يسايروا ما سيظهر من النتائج، وحتَّى لا يردُّوا على البحوث الألمانيَّة عن القرآن بسلفيَّة مجحفة، وجهل لا يَليق بجامعاتنا، ولا بجهودنا)[١].**

**هكذا يصرِّح أستاذ الحضارة الإسلامية بأن المحصِّلة النهائية من هذه الدراسة هو التأكيد على قبول نتائج البحوث الألمانية في القرآن الكريم مهما كانت هذه النتائج، وستكشف الأوراق التالية من البحث أن هذا الجهد -المزعوم- الذي بذله أصحاب المشروع لإنجاز هذا العمل ليس إلا إحدى عمليات التكرار والاجترار لآراء المستشرقين في جمع القرآن الكريم كباقي المشاريع الحداثية التي هي عملية قص ولصق من جهود المستشرقين وكتاباتهم[٢]، وذلك لإعادة صياغة وكتابة قرآن جديد، وقراءته قراءة معاصرة.**

**خامسًا: نماذج مصوَّرة من صفحات المشروع:**

**ليتصور القارئ الكريم فكرة المشروع، وكيف أنه يقدِّم قراءة حداثية جديدة في عرض سور القرآن وآياته، سنعرض هنا بعض الصفحات كنماذج لهذا العبث الحداثي.**

(١) حوار أُجْرِي مع المفكر التونسي المنصف بن عبد الجليل: كل من حاولوا التجديد في الإسلام خلطوا بين الدين والدَّعوة، بتاريخ: ١١/١١ /٢٠١٧م، من الرابط: https://www.islamist-movements.com/41220.

(٢) انظر: العلمانيون والقرآن، للدكتور أحمد الطعان، تقديم: نور الدين عتر، ومحمد عمارة، ط١، ١٤٢٨هـ، الرياض، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع، (ص٧٩١-٧٩٦).

## المبحث الثاني

## مصادر المشروع

**إن مشروع "المصحف وقراءاته" هو مشروع من مشروعات الحداثة العربية المعاصرة[1]، والتي تهدف لتشويه التراث الإسلامي، والقرآن الكريم خاصة، وقد قام أصحاب هذا المشروع بحملة تشكيكية هدمية للطعن في صحة كتاب الله تعالى، وقبل الولوج إلى خبايا هذا المشروع النقدي للقرآن الكريم، وقبل التنقيب عن جذوره الفلسفية التي ينطلق منها، قبل كل ذلك يَحْسُن بنا بيان المصادر التي استقى منها مادته؛ ليقف القارئ عليها، وليكتشف الخلفيَّة التي تحرِّك أصحاب المشروع، وليعرف كيف كان هؤلاء حاطِبي ليل في النقل والأخذ من هنا وهناك، وكيف يُلَبِّسون بذلك على عوام المسلمين، ويوهمونهم أنهم أمام مشروع حقيقي وموضوعي، وأن ما احتواه المشروع هو أمرٌ جَلَل، وكشفٌ عظيم متعلق بصحة القرآن الكريم؛ ويفرحونهم بأنهم سيُبَشِّرونهم بشيء قد اكتشفوه، ثم يُخَيِّبون آمالهم حين لا يجدون شيئًا جديدًا مكتشفًا أصلًا.**

**وحين يتصفَّح القارئ أوراق المشروع يتجلَّى له اعتماد المشروع على ما تفوَّه به المستشرقون القدماء والمُحْدَثون، والثقة التامة في تكوينهم العلمي، وفي آلياتهم التي يتوسَّلون بها إلى نقد التراث الإسلامي، كما حشد المشروع بذِكْر الأخبار الضعيفة والموضوعة، والتي وظَّفها المستشرقون في الطعن في صحة المصحف، والتي قد يُفْهَم منها أن القرآن الكريم قد نقص منه أو ضاع منه شيء، دون اكتراث بصحتها أو ضعفها؛ لأن أصحاب المشروع لا يقرأون إلا ما يكتبه الغرب، ويقرأون تراثهم الإسلامي بمناظير غربية، ويَطَّلِعون على كتاب ربهم بما كُتِب في الأبحاث والدراسات الغربية.**

**ويتفاجأ القارئ أنه ومنذ الصفحات الأولى للمشروع أن المشروع قد حُشِد بذِكْر عدد كبير من أسماء المستشرقين، وثناءٍ على أعمالهم، وتمجيد لإنتاجهم الفكري[2].**

**ومن عبارات الثناء: (أما المستشرقون فقد ألَّفوا في تاريخ القرآن مصنَّفات جليلة القدر... ولعلَّ المفيد في كل هذه الدراسات الاستشراقية التي ذكرناها أنها**

---

(١) نستطيع أن نعرِّف الحداثة العربية: (بأنها تلك الأفكار التي تتخذ من النموذج المعرفي الغربي مرجعًا لها في بحثها عن النهضة والتقدم). الدين والنص والحقيقة "قراءة تحليلية في فكر محمد أركون"، للدكتور مصطفى الحسن، ط١، ٢٠١٢م، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث، (ص٣٠).

(٢) انظر: مشروع المصحف وقراءاته (١/١٢- ١٨).

**تتوخى الدراسة النقدية التاريخية والفيلولوجيَّة[١] للمادة القرآنية، وما يتصل بها من الأخبار والروايات المتوفرة، منشورة ومخطوطة)[٢] ، (والحاصل من كل هذه الدراسات على اختلاف اتجاهاتها أنها لا تنكر تاريخية النص القرآني، ولا تاريخية الشخصية المحمدية) [٣]، وأن (الكثير مما نَبَّهَ إليه هؤلاء المستشرقون صالح، ولا يسع إنكاره، بل يحوج إلى مزيد البحث والتقصي على ضوء المعارف النظرية الجديدة)[٤]، وهم لم يكتفوا بنتائج المستشرقين، بل بنوا عليها، ويرون أن عليهم مهمة أعمق ودورًا أعظم من دور ومهمة المستشرقين، ولن يكتفوا بنقل نصوص التراث الإسلامي والعمل عليها كما فعل أهل الاستشراق، إنما سيتجاوزون ذلك إلى طرح الإشكالات العميقة على النص ويحاولون تفكيكها، فعملهم إذًا هو إحداث شبكة من التساؤلات التي تلقى على عواهنا في مواجهة النص القرآني، فهم سيقدمون للباحث الحديث: (الآلة العلمية اللازمة للباحث -أيًّا كان- لاستقراء المادة التاريخية والخبرية واللغوية) [٥].**

**ومع إشادتهم بمناهج المستشرقين وبتصوُّراتهم عن القرآن، حتى وإن بَدَوْا ناقدين لهم في بعض الأحيان، فإن حقيقة النقد الذي يقدِّمونه لهم يرتكز بالتحديد حول منهجهم الفيلولوجي، وذلك باعتمادهم على المكتوب من علماء المسلمين، واهتمامهم بدراسة الإسلام من داخل كتابات المسلمين على أنها صحيحة، والأمر غير ذلك.**

**إن مشروع "المصحف وقراءاته" مشروع اتَّكأ أصحابه وبشدة على آراء المستشرقين، وذُكِر في مقدمة المشروع أن (أعضاء الفريق متابعون باهتمام وفكر نقدي صارم أهم ما تصدَّى له أهل الاختصاص في الموضوع من مسائل، سواء كانوا عربًا أو مسلمين، أو أبناء ثقافات استشراقية)، فخرج المشروع في صورة استنساخ واجترار لشبهات المستشرقين ولا نبالغ إن قلنا: إن مركز نقد المشروع للمصحف هو الاعتماد على تطبيق آليات المستشرقين الذين كان لأبحاثهم صدى على فكر فريق العمل.**

---

(١) الفيلولوجيا: هي دراسة الآثار الفكرية والروحية دراسةً تقوم على النصوص وتحقيق الوثائق، في العلم الذي يبحث في التراث الفكري المكتوب للأمة باعتباره صورة لتطور العقل الإنساني، ولمحاولات الكشف عن الحقيقة من خلال المكتوب. انظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، للدكتور عبدالمنعم حفني، ط٣، ٢٠٠٠م، القاهرة، مكتبة المدبولي، (ص٦٣٢).

(٢) مشروع المصحف وقراءاته (١٢/١).

(٣) مشروع المصحف وقراءاته (١٣/١).

(٤) مشروع المصحف وقراءاته (١٤/١).

(٥) مشروع المصحف وقراءاته (١٩/١).

**إن جهود المستشرقين لا يمكن إنكارها أو تجاهلها في خدمة التراث العربي، ولكن كثيرًا من هذه الدراسات انطلقت من فهم خاطئ لتاريخ القرآن الكريم، كما أن كثيرًا منهم متحيزون وغير نزيهين، ولهم أهداف تشويهية للإسلام وللطعن في صحته، مما أفقد كثيرًا منهم الروح العلمية النزيهة التي يتشدقون بها.**

**فمن أشهر من كتب عن القرآن وتاريخيه -وهو ممن يمدحهم أصحاب المشروع ويُثنون على جهده[١]- من المستشرقين هو الألماني نولدكه[٢] (ت١٩٣٠م)، وقد وقع في أخطاء عجيبة في فَهْم النصوص، وفي قضية جَمْع القرآن، وحين أَلَّف كتابه كان عمره ٢٤ عامًا، وهذا ما يفسِّر مدى العشوائية والاندفاع في تحرير أفكار كتابه، وقد قدم الكتاب في طبعة جديدة وعمره ٧٣ عامًا، وقال عن حماسته السابقة: (آثار الوقاحة الصبيانية لن يمكن محوها بالكلية من دون أن يُعاد تأليف الكتاب من جديد، بعض ما قلته حينذاك، بقليل أو كثير من الثقة، انعدمت ثقتي به لاحقًا) [٣]، وهذا تصريح منه واعتراف بتراجُع عما كتب، والعجيب أن أصحاب المشروع ما زالوا يعتمدون على ما كَتَب، والذي وصفه هو بـ"الوقاحة الصبيانية"!**

**ومن النتائج الاستشراقية التي ابتلعها أصحاب المشروع وأعادوا إنتاجها للقارئ العربي مسألة وجود عدد لا محدود من القراءات المختلفة للقرآن الكريم، والتي تُولِّد معاني جديدة للقرآن الكريم، فاعتمدوا في تأكيد هذه الفكرة على كتابات المستشرق آرثر جيفري[٤] (ت١٩٥٩م)، وجاء في منهج المشروع ما**

---

(١) انظر: مشروع المصحف وقراءاته (١٢/١).

(٢) مستشرق ألماني، حصل على درجة الدكتوراه الأولى سنة ١٨٥٦ برسالة عنوانها "تاريخ القرآن" باللاتينيَّة، عالَج فيها مسألة نشوء النصِّ القرآني وجمعه، وروايته وقضيَّة التسلسل التاريخي للسور، مقترحًا ترتيبًا لها مغايِرًا لترتيب زمن نزولها، مثلما هو معهود في الإسلام، وهي مسائل تعمَّق فيها أكثر للمشاركة في المسابقة التي أعلنت عنها أكاديميَّة باريس في الموضوع نفسه، ثمَّ قام بترجمة الرسالة ونشرها باللغة الألمانيَّة، وتوفِّي سنة ١٩٣٠م. انظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، (ص ٥٩٥-٥٩٨).

(٣) تاريخ القرآن، نولدكه، ترجمة: جورج تامر، ٢٠٠٠م، دار جورج ألمز، ص xxxi.

(٤) مستشرق أسترالي بروتستانتي بروفيسور في مدرسة الدراسات الاستشراقية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ويُعَدُّ من رجال الصف الأول في علم الاستشراق، ومن مؤلَّفاته مقدمة كتاب "المصاحف لأبي بكر عبد الله بن سليمان السجستاني"، والتي نشرها عام ١٩٣٧م، توفي عام ١٩٥٩م. انظر: مقال عن آرثر جفري بمجلة العالم الإسلامي: The Muslim World, Volume 50 (1960), pp. 230-247.

**نصُّه: (قام عملنا على استخراج كل المعلومات الخاصة بالقراءات، والمثبتة في المصنَّفات القديمة أساسًا، والمصاحف التي توفَّرت لدينا، بالإضافة إلى عمل آرثر جيفري الكلاسيكي الجامع للقراءات المنسوبة إلى عدد من الصحابة والتابعين)[١]، و(ذكرنا أننا قدمنا عمل آرثر جيفري مواد عن تاريخ نصِّ القرآن، المصاحف القديمة إلى كونه العمل الكلاسيكي الحديث في جمع القراءات المنسوبة إلى مصاحف عدد من الصحابة والتابعين، وكذلك المصاحف غير المنسوبة)[٢].**

**وللقارئ الحق في التساؤل عن القيمة العلمية التي سيخرج بها هذا المشروع في اتِّباعه لأسلوب هذا المستشرق في جَمْعه للقراءات من جَمْع المخطوطات وتحليلها[٣] على نحو ما يفعل أهل الكتاب في دراسة كتابهم المحرَّف!**

**ونحن نعرف أن غير المصحف مما يثار حول هذه المخطوطات والقراءات المنسوبة وغير المنسوبة ليست مصدرًا معتمدًا أصلًا في حفظ نص القرآن؟! ألا تكون دراسة المصاحف ومخطوطاتها في هذا المشروع ضربًا من العبث والعشوائية؟**

**إن نقد الكتاب المقدس من خلال المخطوطات، والنظر في حال تطوُّرها في التاريخ؛ هو أمر منطقي جدًّا ومتلائم مع طبيعتها وتاريخيتها، أما أن يتم نقد القرآن الكريم من خلال مخطوط مطبوع أو مخطوط[٤] فهو أمر غير منطقي ولا معقول أصلًا، فالقرآن لم يعتمد في نقله على المسطور، وإنما على المحفوظ، فلو ضاعت جميع المصاحف من الأرض لما ضاع القرآن الكريم، بل سيقرأه أصغر طفل ينطق بغير العربية بما حفظه في صدره، فالمحفوظ هو العمدة والأساس في نقل القرآن ووصوله إلينا، وهو حجة على المكتوب، قال الإمام القرطبي -رحمه الله- (ت ٦٧١ هـ):**

---

(١) مشروع المصحف وقراءاته (٢٣/١).

(٢) مشروع المصحف وقراءاته (٣٧/١).

(٣) ولا يصح أن تُعارَض دراسة مخطوطات المصاحف مطلقًا، بل إن دراستها هي دراسة لمعرفة تواريخها ورسمها وطريقة الإخراج الفني الذي يُبْرِز الجانب الجمالي للمخطوط القرآني على مَرِّ العصور والأزمان، لكنها لا تُدْرَس بغرض تحقيق النص القرآني.

(٤) انظر: مشروع المصحف وقراءاته (٢٩/١).

**(فلو غُسِلت المصاحف لما انغسل من الصدور، ولما ذهب من الوجود، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩][1]، لكنهم يتحدَّثون عن القرآن وهم لا يعرفونه ولا يعرفون علومه، كمثل الذي ينزل ببلد ولا يعرف شعابها ولا طرقاتها، ومحاولاتهم العبثية تحاوِل البحث عن أي مخطوط قد يستندون عليه في دراستهم للقرآن الكريم للطعنِ فيه وفي صحته؛ فلجأوا إلى ما يسمى بمصاحف صنعاء، فقالوا: (ونحسب أن مصاحف صنعاء المكتشفة سنة ١٩٧٢م قد تغني مادة الكتاب؛ لاشتمالها على عدد من الرقوق التي يمكن إرجاعها للقرن الأول للهجرة) [2]، وهذه المخطوطة قد احتفل بها الحداثيون وتناولوها بالدراسة والتحليل، وكأنها كَشْف عظيم غائب عن المسلمين، وكان ممن درس هذا المخطوط للطعن في القرآن الكريم الباحث الإيراني صاديغي[3]، وفرح به أصحاب المشروع وقالوا بأن (المنهج الذي توخَّاه صاديغي فهو منهج التحليل النقدي للنصوص) [4]، وهو المنهج الذي طُبِّق على الكتاب المقدس، والذي أثبت انحرافاته المتتالية، وتم الكشف عن آلاف الأخطاء في عملية نسخه وتدوينه، وكل مخطوطة جديدة تعطي معلومات إضافية عن نصوص الكتاب المقدس تفيد في المزيد من التنقيح والتحقيق لنصوص هذه الكتب التاريخية، لكنه لن يقدِّم ولن يؤخِّر في القرآن الكريم شيئًا، فمخطوطات صنعاء وما اكتشف فيها ليست حجة على القرآن بأي صورة كانت، بل هي حجة للمسلمين، وحتى لو فيها قراءة مخالفة لما عليه المصحف اليوم فهي إما من أخطاء النُّسَّاخ، أو تكون قراءات أخرى مختلفة -قبل جمع المصحف- وكانت متداولة زمن النبي صلى الله عليه وسلم وثابتة، ولكن إسنادها لم يصل إلينا، وهذا الأمر يعرفه جمهور المسلمين وعلماؤهم، ودُوِّن في كتبهم، فالقرآن أُنزل**

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وثلاثة آخرين معه، ط١، ١٤٣١٧هـ، دمشق، دار ابن كثير، (١٦٣/٧).

(٢) مشروع المصحف وقراءاته (٢٠/١).

(٣) باحث في جامعة ستانفورد بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وحلَّل إحدى المخطوطات الصنعانيَّة، ودرسها معتمدًا على أبحاث المستشرقين في موقفهم من القرآن الكريم، ونشره مقالًا مطوَّلًا في مجلَّة أرابيكا عنها. انظر: حوار أُجري مع المفكر التونسي المنصف بن عبد الجليل: كل من حاولوا التجديد في الإسلام خلطوا بين الدين والدَّعوة، بتاريخ: ١١/١١ /٢٠١٧م، من الرابط: https://www.islamist-movements.com/41220.

(٤) مشروع المصحف وقراءاته (١٧/١-١٨).

**على سبعة أحرف[١]، ولم تصلنا جميع هذه القراءات، وقد درس علماء المسلمين أيضًا أسباب اختلاف مصاحف الصحابة، وأشبعت هذه المسائل بحثًا ومناقشةً[٢].**

**ولإكمال الحديث عن أمر مخطوطات صنعاء فإن الموقف من وجود شيء من الاختلاف في رسم بعض الكلمات، أو تصحيح بعضها الآخر، أو زيادة كلمة أو نقصانها؛ في تصوُّر بعض الباحثين المعاصرين الذين كانت لهم عناية واهتمام بموضوع هذا المخطوط، كالدكتورة المتخصصة أسماء الهلالي[٣]، والدكتور: سامي العامري الذي تتبع عمل الدكتورة أسماء، وأكَّد نتائجه، وكانت النتيجة التي خلصوا إليها بناءً على دراسة هذه المخطوطات وتحليل نصوصها أنها عبارة عن كراسات تعليمية، ولا يجوز أن يتم التعامل معها باعتبارها مخطوطة قرآنية، فلم تكتب لنسخ المصحف، وإنما كُتِبت لمن يريد أن يحفظ أو يتعلَّم، واستدلوا على ذلك بعدة أدلة من تحليل المخطوط نفسه، وإن ثبت أنها كراسة تعليمية فلا تكون حجة على القرآن الكريم، فتسقط الشبهة إذًا من أساسها.**

**إننا لسنا أمام نُسَخ يُعْتَدُّ بها في حفظ النص القرآني؛ لأننا نأخذ القرآن مشافهة ولا نعتمد على المخطوط.**

---

(١) وقد تواترت الأحاديث التي تُثبت نزول القرآن على أحرف سبعة في معانيها ورُوِيَت في الصحيحين، راجع كتاب: نزول القرآن على سبعة أحرف، لمناع بن خليل القطان، ط١، ١٤١١هـ، القاهرة، مكتبة وهبة.

(٢) انظر: المصاحف المنسوبة للصحابة والرد على الشبهات المثارة حولها "عرض ودراسة" أطروحة دكتوراه، للدكتور محمد الطاسان، تقديم الدكتور إبراهيم الدوسري، ط١، ١٤٣٣هـ، الرياض، دار التدمرية، ص٣٢٢ وما بعدها.

(٣) هي باحثة تونسية تعمل حاليًا في معهد الدراسات الإسماعيلية بلندن، وصدر بحثها بعنوان: "طروس صنعاء.. نقل القرآن خلال القرون الأولى"، في ٢٠١٦ م عن منشورات أكسفورد باللغة الإنجليزية. انظر: (ص٢٢٠).

The Sanaa Palimpsest : The Transmission of the Qur'an in the First Centuries AH" 2016

انظر: كتاب (طروس صنعاء) ٢٠١٦م، يبعث أراجيف المستشرق جيرد بوين عن المصاحف، للباحث: عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، ٦/ ٨/ ١٤٣٨هـ، من ملتقى أهل التفسير، من الرابط: https://vb.tafsir.net/tafsir47212/#.XkeygDJvbIU .

**ويقول الدكتور طيار آلتي قولاج[1]: (اطَّلعت على ٨٤٪ من أوراق المصحف الموجودة وبتمعُّن ودقة من بدايتها إلى نهايتها حرفًا حرفا، وكلمة كلمة، وآية آية، وقايَسْت هذا المصحف مع مصاحف أخرى قديمة ومتداولة أيامنا هذه، ولم أجد أي فرق بينه وبين تلك المصاحف التي قد يعتريها وجود سهو الكتاب مثل: مصاحف طوبقابي ومصحف طشقند، ومتحف الآثار التركية الإسلامية بإسطنبول، ومصحف القاهرة، والتي وجدت فيها سهو الكاتب تصل إلى ١٥ سهوًا، بَيْدَ أن مصحف صنعاء وجد فيه سهوَين فقط؛ الأول في كلمة «واصبر» في سورة الطور آية (٤٨) تبدَّل فيها حرف الواو بحرف الفاء، فجاءت على شكل "فاصبر"، والثاني: قوله تعالى: "فمالؤون منها" سورة الواقعة: ٥٣، على شكل "فمالؤون منه"، تبدَّل الضمير فقط، وهذه ليست أخطاءً لكنها سهو بسيط، ووجدت أن كاتب المصحف يتميز بالدقة الشديدة والانضباط والممارسة ... وأقول بصراحة أنه لا يوجد أي تحريف أو اختلاف في هذا المصحف، وكل مَن يدَّعي خلاف ذلك فهو باطل وخاطئ؛ لأني قرأته وحقَّقت فيه من أوله إلى آخره حرفًا حرفًا، وكلمة كلمة، وآية آية، ومَن يرى غير هذا أو يدَّعي التحريف فعليه بالإثبات والبرهنة، واعتمادًا على التحقيق الذي قمت به شخصيًّا أجزم قطعًا بأن مصحف صنعاء مطابِق تمامًا للمصاحف العثمانية المتداوَلة، ولا شك فيه، وقد قمت على مدى شهور بقراءته ودراسته، وخرجت بهذه النتيجة والصراحة الحقة) [2].**

**لكن أصحاب هذا المشروع يتوقَّعون أنهم مَسُّوا عصمة القرآن بصنيعهم، أو صدموا المسلمين في معتقداتهم عندما قاموا بعمليات الحفر والتنقيب والبحث عن المخطوطات، لكن ما قدَّموه من دعاوى أوهى من بيت العنكبوت، وتفوح رائحة التفاهة منها، وهم يشعرون بذلك، ولهذا يقولون: (ولكن اطِّلاعنا على الرقوق الصنعانية لم يشمل عددًا كافيًا يساعد على استقراء الأخبار، والتعويل على هذا المصدر المهم في تصنيف المصحف وقراءاته... ونحن متأكدون من ضرورة الاستدراك في قابل الأيام على مادة هذا الكتاب عن الاطِّلاع على كامل المجموعة القرآنية المخطوطة والمحفوظة بصنعاء، وعلى سائر المخطوطات**

---

(١) هو دكتور في التفسير، وُلِد سنة ١٩٣٨ م، وهو رئيس مركز البحوث الإسلامية في إستانبول، وهو مهتم بتحقيق المصاحف. انظر: المخطوطات القرآنية "معنية بدراسات وترجمات المخطوطات القرآنية المبكرة"، المحقق طيار آلتي قولاج: قصة تركي عاشق للمصاحف القديمة، بتاريخ ٢٦/ / ٢٠١٦م ، من الرابط:
./https://quranmss.com/tag/tayyar-altikulac

(٢) المرجع السابق.

**القرآنية المحفوظة في المكتبات الشرقية والغربية، العمومية والخاصة)[1].**

**وهذا الإصرار والجَلَد منهم يرجع لطبيعة الأصل الفلسفي الذي اعتمدوه في رؤيتهم للقرآن الكريم، ونظرتهم للتراث الإسلامي، والذي بنوا عليه نتائج بحثهم، وهو ما سنُلقي الضوء عليه في الأوراق التالية.**

(١) مشروع المصحف وقراءاته (٢١/١).

## المبحث الثالث

## الأصول الفلسفية للمشروع

**إن التاريخية هي حجر الزاوية، والأساس الذي بنى عليه الحداثيون العرب جميع مشاريع الحداثة العربية، والتي كانت هاجسًا وحُلْمًا يُراود أدعياءها[1]، ومشروع "المصحف وقراءاته" هو أحد هذه المشاريع الحداثية التي اعتمدت على المنهج التاريخي بمفهومه الفلسفي في التعامل مع نصوص القرآن الكريم.**

**ومن المهم هنا بيان معنى التاريخية ومفهومها، والتي هي المحرك الأساسي للمشروع، ومن المهم أيضًا بيان الأساس الذي استندت عليه التاريخية.**

**جاء في المعجم الفلسفي في بيان معنى التاريخية أنها: (القول أن الأمور الحاضرة ناشئة عن التطور التاريخي، ويُطلَق هذا اللفظ أيضًا على المذهب القائل: إن اللغة والحق والأخلاق ناشئة عن إبداع جماعي لاشعوري، ولاإرادي، ويرى أصحاب هذا المذهب أيضًا أننا لا نستطيع أن نحكم على الأفكار والحوادث إلا بالنسبة إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه، لا بالنسبة إلى قيمتها الذاتية لا غير؛ لأننا إذا نظرنا إليها من الناحية الذاتية فقط ربما وجدناها خاطئة أو منكرة، ولكننا إذا نسبناها إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه وجدناها طبيعية وضرورية)[2].**

**فالنظر إلى الأمور والوقائع والأفكار ينبغي أن يكون -وفقًا للمنهج التاريخي- الزمان والمكان الذي أنتجها، وسيَّر أحداثها.**

**وهي أحداث لا يمكن تتبُّعها خارج التاريخ، وجاء في موسوعة لالاند تعريفٌ آخر للتاريخيَّة بأنها: (وجهة نظر تقوم على اعتبار موضوع معرفي بصفته نتيجةً حالية يمكن تتبُّعها في التاريخ)[3].**

---

(١) انظر: كتاب الفكر الإسلامي قراءة علمية، لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، بيروت، المركز الثقافي العربي، المركز الإنمائي القومي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م، (ص٢١٢)، وكتاب النص السلطة الحقيقة، لنصر حامد أبو زيد، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٥، ٢٠٠٦م ، (ص ٧١).

(٢) المعجم الفلسفي، لجميل صليبا، ١٩٧٨م ، بيروت، دار الكتب اللبناني، (٢٢٩/١).

(٣) موسوعة لالاند الفلسفية، لأندريه لالاند، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط٢، ٢٠٠١م، بيروت، مكتبة عويدات، (٥٦١/٢).

**وقد حدَّد مشروع "المصحف وقراءاته" آلية التعامل مع القرآن الكريم باعتباره نصًّا تاريخيًّا نشأ في واقع تاريخي محدَّد، لا باعتباره وحيًا متجاوزًا للواقع، ومما جاء في المشروع أن: (التاريخية تعود بنا لحظة التأسيس، أي: لحظة نشوء النص القرآني نفسه، لتكشف لنا عن أشكال الممارسة آنذاك زمن الرسول وصحابته قبل أن يظهر الشكل المؤسسي، ويستقر لاحقًا)[١]، فحاصل ما انتهى إليه المشروع هو إنكار مصدرية الوحي الشرعية، وربط تحقُّقه بالواقع المادي، فهو محض نشاط بشري، وقد نصَّ المشروع على القراءة التاريخية للقرآن الكريم، وذلك بأنه (وكُل حدث مركزي ومؤثِّر في تاريخ الثقافة الإسلامية، خصوصًا إذا ثبت له الانتصار والاستقرار النهائي، خضع المصحف الإمام والقراءات المعترَف بها فيه لعملية إقرار وتثبيت في صلب المؤسسة الدينية أولًا، وفي الوجدان أو الضمير الجمعي ثانيًا، ولئن كانت هذه العملية لاحقة تاريخيًّا على الحدث الذي ارتبطت به، فإنها تمت عبر منهج احتجاجي دفاعي قوي، وُضِعَت قواعده وخطوطه الكبرى منذ القرن الأول، وتواصلت في شكل سيرورة تاريخية)[٢]، وعلى هذا فلا يمكن أن نتصور أي معرفة أو أمر له علاقة بالقرآن الكريم يقع خارج إطار التاريخية -في زعمهم-.**

**وفي ندوة تقديم مشروع "المصحف وقراءاته" للقرَّاء وُجِّه سؤال من أحد الحاضرين: هل أضافت لكم مخطوطات اليمن شيئًا جديدًا في القرآن؟ ويجيب عليه أحد المتحدثين عن المشروع، وهو أحد أعضاء فريق العمل الأستاذ "نادر الحمامي"[٣] -بصوت عالٍ وبلغة حادة-: (نحن لم نشتغل على القرآن، نحن اشتغلنا على المصحف؛ لأنه لا يمكن أن نشتغل على شيء ليس بأيدينا) [٤]، فهو ينفي وجود القرآن الكريم الذي هو بمعنى الوحي المنزَّل من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن الموجود هو المصحف فقط!**

---

(١) المصحف وقراءاته (٨٣/١).

(٢) المصحف وقراءاته (٨٨/١).

(٣) هو باحث تونسي يحمل شهادة الدكتوراه في اللغة والآداب العربيَّة، كليَّة الآداب والفنون والإنسانيَّات بمنُّوبة، صدر له عدة دراسات وكتب، منها: كتاب "إسلام الفقهاء"، انظر: موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث على الرابط:
.https://www.mominoun.com/auteur/325

(٤) تقديم مشروع "المصحف وقراءاته" ببيت الحكمة بتونس، من تصدير وإخراج مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث على الرابط:
.https://www.youtube.com/watch?v=6vOnkr37pL0

**والقرآن من منظور أعضاء فريق المشروع ليس هو المصحف؛ لأن قراءات المصحف مفتوحة لأي احتمال، ولا توجد نهائية لها، جاء في المشروع عند الحديث عن تعدُّد القراءات: (إن القرآن كان منذ البدء نصًّا إشكاليًّا في قراءاته، منفتحًا على عدد من الاحتمالات والإمكانات المتاحة في الأداء، والتي سمح بها الرسول في حياته، ويبدو أن هذا العدد لم يكن متفَقًا عليه، ولا مستقرًّا)** [١].

**(والحاصل أن المصحف وقراءاته يعرض مادة علمية قابلة للدرس والتشكُّل بفطنة القارئ الباحث وثقافته، ورؤيته، وهي مادة تتدرج بالباحث من مجال الخبر الخاص بجانب من جوانب المصحف إلى ضرورة التصدي لمسائل مركَّبة تتصل أساسًا بالنص القرآني أصلًا، وتاريخ تشكُّل المصحف بلوغًا إلى تقبُّل المؤمنين لكتابهم المقدس، والإخبار عن صفته ونظمه وقراءته عبر الأجيال، وبديهي أن تساعد مادة الكتاب لا على تعقُّب سائر النظريات التي طفق المختصون في الدراسات القرآنية ينشئونها، بل على المساهمة في تجديد هذا المجال من الدراسات)**[٢]**، فالمطلوب عند أصحاب المشروع هو الانفتاح على كل المناهج الغربية في التعامل مع هذا الكتاب المقدس، وممارسة جميع أنواع النقد التاريخي عليه.**

**لأن المصحف الموجود بين أيدينا اليوم -بحسب تصوُّرهم- هو نسخة نصية جمعها الصحابة في أوضاع تاريخية متأزِّمة ولأسباب سياسية، بمعنى أنهم يفتعلون خلفيات وأغراضًا سياسية خلف عملية جمع المصحف، والذي جُمِع وفق معطيات موضوعية، جاء في المشروع عن المصاحف التي بأيدينا: (وأنَّ سيادتها النهائية في جزء كبير من العالم الإسلامي نسبيَّة، تعود إلى أسباب ومعايير غير التي وضعها المهتمون بالقراءات، ويتمثَّل أبرز هذه الأسباب في دور النظام السياسي الذي يسعى إلى فرض مذهب دون مذهب، أو قراءة على حساب أخرى)**[٣]**، (ويبدو العامل السياسي، ممثَّلًا في دور الدولة العثمانية، من أسباب نشر قراءة حفص في جزء كبير من العالم الإسلامي، تضاف إليه بعض الظروف التاريخية.. ونما هذا الانتشار بعد تكفُّل النظام السعودي بطبع هذا المصحف حسب هذه الرواية، وترويجيه مجانًا)** [٤].

---

(١) المصحف وقراءاته (٨٤/١).

(٢) المصحف وقراءاته (٢٠/١).

(٣) المصحف وقراءاته (٢٨/١).

(٤) المصحف وقراءاته (٢٨/١-٢٩).

**ولنتعمَّق أكثر في بيان الأساس الفلسفي لمشروع "المصحف وقراءاته"، لنشير هنا إلى أن الأساس الذي تستند عليه التاريخية: هو المادية التي تؤمن بأن المعرفة والظواهر هي مجرد انعكاس للمادة وتحولاتها، وجاء بيان معنى المادية في المعجم الفلسفي أنها: (المذهب الذي يفسِّر كلَّ شيء بالأسباب المادية، ويُطلَق في علم ما بعد الطبيعة على مذهب الذين يقولون: إن المادة وحدها هي الجوهر الحقيقي الذي به تفسَّر جميع ظواهر الحياة، وجميع أحوال النفس)[١]، فالوعي والأفكار والتصورات الإنسانية من ثمرات المادة وإنتاجها، وقد كشف مشروع "المصحف وقراءاته" في صفحاته عن العلاقة والارتباط الشديد بين مادة المصحف وبين هذا الواقع المادي، مما يُظهر جليًّا تنظير المشروع للأساس الفلسفي للتاريخية، الذي يحصر المعرفة في إطار الإدراك الحسي، ولا يمكن وفق الإيمان بالتاريخية إثبات لصحة الوحي "القرآن الكريم"؛ لكونه حقيقية غيبية تقع خارج الإدراك الحسي، وأنه لا وجود إلا لما هو مادي عند من يؤمن بالتاريخية، وأن كل ما هو مادي ليس له وجود مستقل عن المادة، إنما هو مجرد انعكاس لها[٢].**

**وقد انعكست هذه المنهجية على المشروع باعتبار القرآن مجرد ظاهرة تاريخية فقط، فقد جاء في مشروع "المصحف وقراءاته" أن (هذه المعطيات مجتمعة تفتح في وجه الباحثين مجالات رحبة يمكن استغلالها لتسليط الضوء على الظاهرة القرآنية، ودراستها دراسة علمية)[٣]، فالقرآن الكريم هو مجرد ظاهرة تُطرَح على بساط الدرس والنقد.**

**أما هل هو وحي مُنَزَّل من عند الله؟ هل هو مُنَزَّل على الأنبياء؟ هل هو وحي إلهي نطق به جبريل؟ هذا لا يهم أصحاب المشروع أصلًا، والمهم هو أن القرآن ظاهرة تاريخية محصورة في ظرفي الزمان والمكان، والتعبير عن القرآن بالظاهرة يدل على ربطه بالواقع، وهذا يتناقض كليًّا مع اعتقاد قداسة الوحي، ونزع القداسة عنه لازم للتاريخية لزومًا ضروريًّا.**

**وهذا الموقف من القرآن، مناقض لمسلَّمات وأصول الإسلام، ويأتي كنتيجة طبيعية للالتزام بلوازم الاتجاه المادي الذي لا يؤمن إلا بالواقع المحسوس، فهو يربط الوحي بالواقع، ويجعل الواقع مصدرًا له بناءً على ما تقتضيه المادية، وما تفرَّع عنها من التاريخية.**

---

(١) المعجم الفلسفي (٣٠٩/٢).

(٢) للمزيد انظر: تاريخية القرآن في الفكر الحداثي العربي، للدكتور عبد الله بن محمد القرني، ط١، ١٤٣٩هـ، المملكة العربية السعودية، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، (ص١٦-١٧).

(٣) المصحف وقراءاته (٨/١).

**ومن أفضل ما يُرَدُّ به على المشروع هو بيان حقيقته، والكشف عن أساسه الفلسفي المادي الذي يستند إليه.**

**إن مشروع "المصحف وقراءاته" إذًا يؤكِّد لنا تجذُّر النزعة المادية القابعة خلف تطبيق المنهج التاريخي، والتي هي حاضرة في كل مراحل المشروع الذي يريد أن ينفي الطابع الإلهي للقرآن الكريم، وما نريد التأكيد عليه هنا أن مشروع "المصحف وقراءاته" هو مشروع فلسفي، يبحث في المبادئ والمسلمات المتعلقة بالقرآن الكريم، ويثير مجموعة إشكالات عليه، وسيكشف المبحث التالي عن الموقف التفصيلي من توظيف المشروع لمباحث علوم القرآن لممارسة النقد التاريخي عليه.**

## المبحث الرابع

## توظيف مباحث علوم القرآن الكريم في القراءة التاريخية

إن مشروع "المصحف وقراءاته" اعتمد على جملة من الإجراءات لقراءة القرآن الكريم قراءة تاريخية، وكأنه يتحدث عن كتاب بشري غير كامل، وأن الموجود هو نسخة معيبة، والكامل منه مفقود، مع أنه ليس على وجه الأرض أصحُّ من هذا الكتاب نقلًا ولا أتمُّ منه ضبطًا.

جاء في ذكر المنهج الذي انتهجه أصحاب المشروع: (كان اهتمامنا في هذا العمل مصوَّبًا نحو القراءات القرآنية، وأخبار أسباب النزول، ومسألة النسخ، وكذلك التكرار، سواء تعلَّق بآيات برُمَّتها، أو بأجزاء منها، بالإضافة إلى إثبات جملة من تقسيمات المصاحف إلى أحزاب وأنصاف وأرباع وأثمان، وحرصنا على إيراد جملة من الملاحظات كلَّما رأينا فيها ما يفيد في تبيُّن تَشكُّل المصحف، أو ما يمسُّ أحد العلوم القرآنية التي تطرقنا إليها)[١].

والغاية هي إضفاء المشروعية الإسلامية على القراءة الحداثية للقرآن الكريم، على الأقل من حيث الشكل والإطار، أما من حيث المضمون فإنها تظل وفية لآخر مستجدات المناهج الغربية ومحركاتها المادية في التعامل مع النصوص الدينية.

إن المشروع يتغافل، أو يتجاهل، أو ينكر المحور الغيبي والأخروي لقراءة القرآن الكريم، ويريد أن يجرِّد القرآن الكريم من هذا البُعد، ويدعو إلى ذلك، جاء في مقدمة المشروع: (والحاصل أن المصحف وقراءاته يعرض مادة علمية قابلة للدرس والتشكُّل بفطنة القارئ الباحث، وثقافته، ورؤيته، وهي مادة تتدرج بالباحث في مجال الخبر الخاص بجانب من جوانب المصحف، بلوغًا إلى تقبُّل المؤمنين كتابهم المقدَّس، والأخبار عن صفته ونظمه وقراءته عبر الأجيال، وبديهيٌّ أن تساعد مادة هذا الكتاب لا على تعقُّب سائر النظريات التي طفق المختصون في شئون الدراسات الإسلامية ينشئونها، بل المساهمة في تجديد هذا المجال من الدراسات)[٢]، فالمشروع اعتمد على منهج الشك في المسلَّمات والتي

(١) المصحف وقراءاته (٢٤/١).

(٢) المصحف وقراءاته (٢٠/١).

**أجمع عليها السابقون في علوم القرآن الكريم، والتي صُنِّفت فيها قديمًا وحديثًا عشرات المؤلفات في علوم القرآن والتفسير وغيرهما.**

**وللك حرص أصحاب المشروع على التأكيد على أن دورهم هو (الجمع بين أهم العلوم القرآنية من قراءات، وأسباب نزول، ونَسْخ، ومكي ومدني، وتكرار ضمن متن واحد جامع للاختلافات والروايات، مما يسمح بالمقارنة، ويوفِّر مادة للبحث جَمْعُها غير متيسِّر للباحث الفرد)** [1]**، وهذا الاهتمام بمباحث علوم القرآن الكريم ليس الغرض منه تحقيقها ولا التحقُّق منها، وإنما هو اهتمام مُؤَدْلَج لتأكيد مواقف مسبقة من الدين والتراث، وتوظيف مباحث علوم القرآن للقول بتاريخية تشكُّل القرآن وتكوُّنه، وتاريخية دلالته، وتاريخية مصدره ونزوله، وفي المطالب التالية سيعرض البحث أبرز ما لَاكَهُ أصحاب المشروع من شبهات تتعلَّق بمباحث علوم القرآن الكريم، وهي شبهات مهترئة قد سبقهم إليها المستشرقون.**

(١) المصحف وقراءاته (٢٠/١).

## المطلب الأول

## جمع القرآن وتدوينه

وهو مبحث يشغِّب به أصحاب المشروع على صحة جَمْع القرآن الكريم، ويتحدث هؤلاء عن عملية جمع القرآن الكريم وكأنه حدث سياسي خطير قد استقوت به السلطة بما لها من سلطان لتوحيد المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه، فمما جاء في المشروع: (ولم تكتسب ظاهرة جَمْع صحف القرآن وتوحيد المصحف طابع الجدية، أو الصبغة الرسمية إلا في عهد عثمان... ويبدو أن جدية عثمان، وصرامة موقفه في حَمْل الناس على اختيار واحد للمصحف بعد جملة اختيارات كانت متاحة قبله، وسكت عنها الرسول والشيخان بعده، قد أدَّت إلى معارضة قوية، واستنكار شديد من القرَّاء الذين كانوا يحفظون القرآن، ولم يقبلوا صنيع عثمان، ولم يطمئنوا إليه، فهذا عبد الله بن مسعود مثلًا "كره أن وُلِّيَ زيد بن ثابت نَسْخَ المصاحف وقال: يا معشر المسلمين، أأُعْزَل عن نَسْخ كتاب الله ويُوَلَّاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صُلْب رجل كافر؟!"[(١)])[(٢)]، وهذه جملة افتراءات عابثة تتعلق بعملية جَمْع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه في المصحف الإمام، والذي قد سبق وجُمِع ودُوِّن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بمراجعة جبريل -عليه السلام- مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن الذي تم نَسْخه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الصحف. ثم دُوِّن هذا القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه وكُتِب على ما ثبت في العرضة الأخيرة، وتَرْك ما سوى ذلك، فهذا المصحف الذي كُتِب في عهد عثمان رضي الله عنه هو نسخة القرآن المجموع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والذي ضُمَّت صحائفه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد استوثق له وانعقد له إجماع الصحابة رضوان الله عليهم.

فإن وجد في مصاحف بعض الصحابة -نقص أو زيادة- خلاف المصحف الْمُجْمَع عليه، فهذا يعود إلى خطأ في نسخة هذا الصحابي، ونسخته ليست أثبت من النسخة التي أجمع عليها الصحابة رضوان الله عليهم؛ إذ قد يفوت الآحاد ما لا يفوت الجمع.

---

(١) سنن الترمذي "الجامع الصحيح"، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث، كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة، حديث رقم: ٣١٠٤، (ص٧٠٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) المصحف وقراءاته (٨٧/١).

**إن ما حدث في عهد عثمان رضي الله عنه إذًا هو مجرد نَسْخ للمصحف المجموع في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وقد نسخ عثمان رضي الله عنه منه نسخًا، ووجَّهها إلى الأمصار، وأمر بما سواها أن تُحْرَق.**

**وقد تمَّت عمليَّة الحرق على مرأى من أكابر الصحابة رضي الله عنهم، ولم تكن حادثة فردية قام بها عثمان رضي الله عنه، فهذا علي رضي الله عنه يقول: «يا أيها الناس، لا تَغْلُوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعًا، والله لو وُلِّيتُ لفعلت مثل الذي فعل»** (١)**، ويقول مصعب بن سعد رضي الله عنه: «أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين شقق عثمان المصاحف، قال: "فأعجب"، أو قال: لم يَعِب ذلك منهم أحد»**(٢)**.**

**وأما ما نُقِل من اعتراض لابن مسعود رضي الله عنه، وسِيقَ على أنه اعتراض على جَمْع عثمان رضي الله عنه، فيجاب عنه بأنه عتب منه رضي الله عنه على إسناد المهمة لشاب صغير السن، وعدم إسنادها إليه، ولا يتضمن اعتراضًا منه على وثوقية الجمع وصحته، أو على أمانة زيد أو كفاءته في أداء المهمة.**

**وما ذُكِر من كلام ابنِ مسعود رضي الله عنه لم يكن محلَّ تسليم منَ الصحابة، وعن الزهري (ت ١٢٤ه) أنه قال: (فبلغني أنَّ ذلك كرهه من مَقالةِ ابنِ مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)** (٣)**.**

**فالادعاء بأن المصحف العثماني والإجماع عليه موضع شك وارتياب هو ادعاء أخرق غير نزيه، وقد تكرَّر في المشروع في أكثر من موضع؛ ومن تلك المواضع ما ادَّعاه أصحاب المشروع من أن هناك أخبارًا متناقضة في جمع القرآن وتدوينه وترتيبه، وأن (العلماء المسلمين القدامى قد أفرغوا الوسع في جمع الأخبار الكثيرة، بما فيها الأخبار المتناقضة في مسألة جمع القرآن، وتدوينه وترتيبه وغيرها)** (٤)**، ويذهب الذهن السيَّال بهم بعيدًا في ذِكْر موقف علماء المسلمين المعاصرين من هذه التناقضات، وأنهم عملوا على: (تهذيب الأخبار بما يحقِّق الاطمئنان إلى صدقها، والابتعاد عن الشك فيها، وعدم الالتفات**

---

(١) المصاحف، لابن أبي داود السجستاني، تحقيق: سليم الهلالي، ط١، ١٤٢٧هـ، غراس للنشر، (ص٦٧).

(٢) كتاب خلق أفعال العباد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، الرياض، دار المعارف، حديث رقم: (١٦١).

(٣) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن الكريم، وقال: هذا حديث حسن صحيح حديث رقم: (٣٣٠٣).

(٤) المصحف وقراءاته (١١/١).

**إلى الأخبار المحرجة منها) [١]، فأين هذه الأخبار المتناقضة في مسألة جمع القرآن الكريم ؟ وأين هي هذه الأخبار المحرجة في مسألة الجمع، والتي لم يلتفت لها العلماء المعاصرون؟!**

**وقد حكى ابن الجزري -رحمه الله- (ت ٨٣٣ ه) الإجماع على صحة جمع عثمان رضي الله عنه فقال: (وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها على الأحرف السبعة فقط، جامعة للعَرْضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبرائيل عليه السلام متضمِّنة لها، لم تترك حرفًا منها.. وهذا القول هو الذي يظهر صوابه؛ لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له)[٢].**

**وكلام ابن الجزري يؤكِّد موقف علماء أهل السنة والجماعة، وإجماعهم عبر عصورهم المتتالية على الاعتقاد بحفظ هذا الكتاب من التحريف والتغيير والزيادة والنقصان، وأن تدوينه في المصحف العثماني قد حظي بقبول جماهير علماء المسلمين قديمًا وحديثًا.**

(١) المصحف وقراءاته (١١/١).

(٢) النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن الجزري، تصحيح ومراجعة: علي الضباع، دار الكتاب العربي، (٣١/١-٣٢).

## المطلب الثاني

## اكتمال القرآن الكريم في المصحف

يدَّعي أصحاب المشروع بأن المصحف الذي جُمِع في عهد عثمان ليس فيه كامل القرآن، وهذا توظيف غير جديد ولا بعيد عما سبق، بيد أن فيه محاولة للتجديد في العرض والإمعان في الطعن، والابتكار في الجمع على ما سبقه، وذلك عند قولهم بأن هناك (جملة من الأخبار المشيرة إلى نصوص ربما كانت تُعَدُّ من القرآن، ولا نقف عليها الآن في المصحف) [١]، ويسرد المشروع بعضًا منها للتشكيك في حفظ القرآنِ الكريم حتى يتسنى القول بتاريخيته، وكأنها سقطت من المصحف نسيانًا أو جهلًا!

وهذه الأخبار التي يدعونها هي إما أخبار منقولة من كتب الشيعة، كالنقل عن كتاب "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب" لسورتي النور والولاية كاملتين، ونقل غيرهما من الروايات الموضوعة المأخوذة من كتب الشيعة[٢]، وهؤلاء وبلا أدنى شك معروفون بالكذب والوضع في القرآن وإثارة الشبهات حول جَمْعه؛ للبحث عما يُثْبِت عقائدهم [٣]، فكيف يأخذ أصحاب المشروع عنهم؟! مع أن النقد التاريخي والتمحيص العلمي يُبْطِل هذه الروايات التي يستدل بها أهل هذه الطائفة في قولهم بنقص القرآن الكريم، فهي طائفة تتعمد الكذب والطعن في كتاب الله وإثارة الشكوك حوله، وما يردِّدونه ليس إلا من قَبِيل التُّهَم والأكاذيب العارية عن صحة المتن أو السند.

ويحتجُّ أصحاب هذا المشروع أيضًا ببعض الآيات التي وردت عن مصاحف بعض الصحابة رضوان الله عليهم، كنقل سورتي الحفد والخلع عنهم [٤].

ودَفْع هذا الاعتراض وجوابه هو أنه يمكن أن تكون هناك آيات غير موجودة في المصحف العثماني ونُسِخَت، ولا إشكال في ذلك ؛ فإن مصاحف الصحابة رضي الله عنهم كان فيها ما نُسِخَتْ تلاوته، وكان فيها الشرح والفقه، وقد تكون هاتان السورتان الحفد والخلع مما نزل من القرآن، ثم نُسِخَت تلاوتهما، وبقي بعض الصحابة يقرؤهما في قنوته؛ لما احتوتاه من دعاء وثناء على الله، ومن المعلوم بمكان أن الذي استقر عليه الأمر هو أن المحفوظ الثابت المحكم، هو ما في المصحف الذي جمعه الصدِّيق ثم عثمان رضي الله عنهما، وهو بحسب

---

(١) المصحف وقراءاته (١/١١٠).

(٢) انظر: المصحف وقراءاته (١/١٠٢- ١٠٣).

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية "عرض ونقد"، للدكتور ناصر القفاري، ط٣، ١٤١٨هـ، دار الرضا، (١/٤٣٩-٤٤١).

(٤) المصحف وقراءاته (١/١٠٨).

**العرضة الأخيرة للقرآن والمجمع عليها، وليس فيه هاتان السورتان، ولذا لم يقرأهما أحد في الصلاة، ولا ذُكِر تفسير لهما، ولا نُقِلَت قراءات لحروفهما[١].**

**وأصحاب المشروع هؤلاء مع اعتزازهم وكثرة نقلهم عمَّا كتبه أساتذة الاستشراق الغربي في مباحث علوم القرآن، يوجَّه إليهم سؤال، هو: هل كانوا أوفياء لهم في التعامل مع قضية الحفظ الإلهي للقرآن الكريم؟**

**إن هذه المحاولات العبثية تنهار أمام ما ذُكِر في "دائرة المعارف الإسلامية" -والتي كتبها مستشرقون-: (وهَوَتْ محاولات المستشرقين إصدار نسخة أخرى من القرآن غير نسخة عثمان... لقد ظهر أن هذه المحاولة عرجاء ... بل إن المستشرق "فيشير" (ت ١٩٤٩م) انتهى إلى أن معظم الاختلافات المنسوبة للصحابة قبل مصحف عثمان ما هي إلا اختلافات موضوعة مكذوبة.**

**ووصل إلى هذه الحقيقة أيضًا الباحث "بيرتون" (ت١٨٩٠ه) في كتابه عن جمع القرآن، والباحث "ونسبرو" في كتابه دراسات قرآنية، فقالوا: إن كل -وليس بعض- الاختلافات المنسوبة إلى مصاحف الصحابة وغيرها موضوعة...، والحقيقة هي أن محمدًا كان قد جمع القرآن بالفعل أثناء حياته، وأن القرآن على عهده كان مصاغًا بشكله النهائي)[٢].**

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، ط١، ١٤١٧هـ ، مكة، مصطفى الباز، (٢/ ٦٨).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ١٤١٨هـ، طبعة القاهرة، (٢٦/ ٨١٧٩) وما بعدها،نقلًا من رَدِّ افتراءات الجابري على القرآن الكريم، لمحمد عمارة، ط١، ١٤٣٢هـ، مصر، دار السام للطباعة والنشر والتوزيع، (ص١٤٩-١٥٠).

## المطلب الثالث

## القراءات

علم القراءات هو من أكثر علوم القرآن استغلالًا للقول بتاريخية القرآن الكريم، نظرًا لما فيه من إيحاءات لغير المتخصص بتعدُّده على غرار تعدُّد الأناجيل، وقد جاء في مقدمة المشروع: (بين الباحثين شبه إجماع على أن مسألة "المصاحف" و"القراءات" على حدٍّ عبارة القدامى، أو "تاريخ القرآن"، أو "القرآن نصًّا" على حدِّ تعبير المحدثين خاصة، ما زالت الأحوج إلى الدراسة والتنقيب)[1] ، وهذا افتراض منهم لوجود تلاعُب مسبق في القرآن، وأن هناك حاجة شديدة لدراسة هذا المبحث، والحاجة التي يزعمونها هي حاجة متوهَّمة لإسقاط واقع الأناجيل على القرآن الكريم، وما يتضمَّن ذلك لاحقًا من الانفتاح على المعنى والتفسير بتعدد القراءات، للقول بتاريخية أحكامه وتشريعاته.

فقد حرص أصحاب المشروع -في أكثر من موضع – على التأكيد على تعدُّد القراءات زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، فقالوا: (ولعل أهم ما يمكن أن تقودنا إليه القراءة السريعة في ممارسة النص القرآني زمن الرسول أن محمدًا لم يضيِّق على الناس، ولم يفرض عليهم اختيارًا بعينه، ولا حتى عددًا محددًا من الاختيارات، وإنما كان الأصل الإباحة، بالمعنى الفقهي، والتوسعة على المسلمين)[2] ، في إشارة منهم لضرورة الإبقاء على ما كان عليه من التعدُّد والانفتاح في قراءة النص لتغيُّب مضامينه ومقاصده ومراميه، لكن دور المؤسسة الدينية كان هو تحديد القراءات وضبطها -زعموا- (حتى لا يتعدى الاختلاف في النص إلى الإيمان، وفي اللفظ إلى العقيدة، حتى وإن كان ذلك مخالفًا لما حدث زمن الرسول، وقرَّره في حياته)[3] ، (فقبل المصحف الإمام كانت الأحرف السبعة قراءات متعددة لنص واحد هو القرآن، وبعده جاءت القراءات السبع، وما يتلوها في التصنيف اختلافات متعددة على نص واحد هو مصحف عثمان، ولم يظهر مفهوم الشذوذ في القراءات إلا في المرحلة الثانية بمعنى ما شذَّ عن مصحف عثمان، أو عن اختيار الجماعة وإجماع الأمة) [4]، وكلامهم هذا فيه جهل مركَّب فمن المعروف أن الشاذَّ هو المخالِف للقراءة المتواترة المثبتة في المصحف العثماني، والتي أجمعت على صحتها الأمة، لكن هذا الأمر لا يتناسب مع أمزجة أصحاب المشروع الذين يزعمون أن (قضية

---

(١) المصحف وقراءاته (١/ ١١).

(٢) المصحف وقراءاته (٨٦/١).

(٣) المصحف وقراءاته (٨٦/١).

(٤) المصحف وقراءاته (١/ ٨٧- ٨٨).

**الإجماع ما هي إلا إحدى الآليات التي وضعتها المؤسسة الدينية للدفاع عن حجية مصحف عثمان وقراءاته) [١]، وقالوا: (ولقد كان المبدأ المتحكم في العملية بأسرها، وفي ظهور مصطلح الشذوذ، وانتصار القراءات السبع هو مبدأ الإجماع المستند إلى النقل والتواتر فقط، دون سواهما من معايير قياس صحة القراءة من فسادها) [٢].**

**وهذه مجموعة شُبَهٍ باطلةٍ ودعواها كاذبة، وفيها عدد من المخالفات العلمية والمنهجية، ففيها تلبيس حتى وإن كان بالكذب الواضح والافتراء المبين، ولا جديد فيها؛ فإن الهدف منها هو الزعم بأن هناك قراءات أخرى تتضمن معانِيَ مختلفة عما عليه جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه الذي قام بالتخلص من جميع المصاحف المخالفة للمصحف العثماني، وأنه لا فائدة من هذا الجمع الذي قام به سوى التضييق على الناس، والمصادرة على عقولهم وفُهومهم المتعددة.**

**وللرد عليهم ننقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن الأحرف السبعة، حيث قال: (ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أُنزل القرآن عليها لا تتضمَّن تناقُض المعنى وتضادَّه، بل قد يكون معناها متفقًا أو متقاربًا، وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حق، وهذا اختلاف تنوُّع وتغايُر لا اختلاف تضادٍّ وتناقض، ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقًا من وجه متباينًا من وجه، فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنه من المعنى علمًا وعملًا لا يجوز تَرْك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنًّا أن ذلك تعارُض، وأما ما اتحد لفظه ومعناه وإنما يتنوع صفة النقط به، فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقُض ولا تضادٌّ مما تنوَّع فيه اللفظ أو المعنى) [٣].**

**والتمسُّك بوجوه القراءة المتواترة وتَرْك ما سواها هو ما عليه أهل السنة والجماعة، وأقوال العلماء في ذلك كثيرة، ولولا الإطالة لنقلتها؛ قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلَّام -رحمه الله- (ت٢٢٤هـ): (وإنما نرى القرَّاء عرضوا القراءة على أهل المعرفة بها، ثم تمسَّكوا بما علموا منها مخافةَ أن يزيغوا عما بين اللوحين بزيادة أو نقصان، ولهذا تركوا سائر القراءات التي تخالف الكتاب، ولم يلتفتوا إلى مذاهب العربية فيها إذا خالَف ذلك خط المصحف، وإن كانت**

---

(١) المصحف وقراءاته (١/ ٨٩).

(٢) المصحف وقراءاته (١/ ٩١).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: ابن قاسم، ١٣٨٦هـ، طبعة حكومة المملكة العربية السعودية، (١٣/٣٩١-٣٩٢).

**العربية فيها أظهر بيانًا من الخط، ورأوا تتبُّع حروف المصاحف، وحفظها عندهم كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها، وقد وجدنا هذا المعنى في حديث مرفوع وغير مرفوع)[1].**

**والخلاصة التي انتهى إليها أصحاب هذا المشروع فيما يتعلق بمبحث القراءات هي ما عبَّروا عنه بقولهم: (وبما أن عملنا يندرج في مجال التاريخ، فقد أثبتنا بأمانة كل القراءات المخالفة للمصحف برواية حفص، والتي وردت في كتب التراث الإسلامي، بصرف النظر عن كونها كانت تُعَدُّ في فترة ما -طالت أو قصرت- قراءات مقبولة، أو مشهورة، أو مجمعًا عليها، أو شاذة) [2]، وهذا تصريح منهم بأن منهجهم بعيد جدًّا عن الدقة والصرامة التي يفترض توفُّرها في البحوث العلمية، وهو تجاوُز لما هو معروف عند أهل الاختصاص في الدراسات القرآنية.**

(١) فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد عبد الواحد الخياطي، المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، (٢/ ١٩٣- ١٩٤).

(٢) المصحف وقراءاته (١/ ٩١).

## المطلب الرابع

## ترتيب الآيات في القرآن الكريم

لدى أصحاب مشروع "المصحف وقراءاته هَوَسٌ في الاهتمام بذِكْر ترتيب آيات المصحف ترتيبًا زمانيًّا، وينقلون عن جميع أصحاب المدارس الاستشراقية المتعددة[١]، ويتناسون أن هؤلاء عندما حاولوا الكشف عن الترتيب الزماني للآيات؛ كانوا محكومين بتصوُّر معيَّن لما ينبغي أن يكون عليه الكتاب المقدس؛ إذ هو في نظرهم كتاب في تاريخ الأمة التي نزل فيها يحكي سيرتها ويحض على التمسك بشريعتها، وقد كانوا محكومين بهذا التصوُّر، وجعلوه معيارًا في الحكم على ترتيب آيات القرآن الكريم.

وأصحاب هذا المشروع يكرِّرون الخطاب الاستشراقي نفسه، ويبذلون جهدًا في محاولة إيجاد ترتيب زماني دقيق للقرآن يشمل كل سورة وآية، ويحاولون تضخيم أهمية معرفة ذلك الترتيب الزماني، لربطه بواقع العرب فترة نزوله للوقوف على تاريخية المصحف من خلال الوقوف على تطوُّر النصوص القرآنية -كما يزعمون- بحسب مجريات الواقع كما حدث في الكتاب المقدس، وهذا أمر مُسْتَبْعَد فيما يتعلق بالقرآن ومن المستحيل إيجاده؛ لأنه أصلًا لم يكن مقصودًا من الشارع، فترتيب الآيات داخل السور هو ترتيب توقيفي، أي أن الوحي مصدره، وفيه من أوجه الإعجاز والتناسق ما لا يسعنا عرضه هنا.

ونكتفي بإحالة القارئ إلى بعض المصنفات في هذا الشأن، والتي اعتنى كثير من العلماء القدماء منهم والمحدثين بالتفصيل فيها في هذا الإعجاز والحديث عن أسرار القرآن وانسجام آياته وتناغُم سوره، ويكفينا أن نُحيل إلى الاطلاع على كتاب السيوطي (ت٩١١ هـ) "أسرار ترتيب القرآن"، وكتاب البقاعي (ت٨٨٥ هـ) "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وكتاب الكرماني ت ٥٠٥ هـ "أسرار التكرار في القرآن"، وبعض التفاسير التي ناقشت هذا الإعجاز؛ كتفسير الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، وتفسير الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، وكتاب "علم المناسبات في السور والآيات" للدكتور عمر بازمول[٢]، وغيرها كثير. وهكذا يتلاشى حلم أصحاب المشروع في الكشف عن تاريخية القرآن.

---

(١) انظر: المصحف وقراءاته (٦٣/١- ٧٥).

(٢) أستاذ التفسير بجامعة أم القرى بمكة، راجع موقعه الإلكتروني: http://www.bazmool.net/.

## المطلب الخامس

## وقوع النَّسْخ في القرآن الكريم

وهو من أهم المباحث التي اتَّكأ عليها المشروع، واهتم بها أصحابه؛ لأنها في نظرهم بمثابة الصيد الثمين والركيزة الأساسية للقول بتاريخية القرآن، وغفل هؤلاء عن لازم القول بوجود النسخ في النصوص، وهو أن ما لم ينسخ من الأحكام فهو باقٍ ومتجاوز لظرفي الزمان والمكان.

وقد حرص أصحاب المشروع على إيراد كل ما كُتِبَ في هذا العلم "علم الناسخ والمنسوخ"، وقالوا: (وهذا التنوع في مصادر النسخ مَرَدُّه إلى الاختلافات بينها؛ مما يسمح بالمقارنة والبحث والتطور في نظرية النسخ، وربطها بعصرها ومحيطها الذي نشأت فيه)[1]؛ لأن النص أثر في الواقع بما أحدثه من تغيير فيه، كما أن الواقع أثَّر في النص فغيَّر فيه، وهذا يعني إمكانية استمرار النسخ بعد وفاة النبي وانقطاع الوحي!.

والذي غاب عن هؤلاء أن النسخ في القرآن الكريم هو من عند الله ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة الرعد:٣٩]، فيغير الله ما يشاء من شرائعه وفق علمه وإرادته وحكمته، ووقوع النسخ في القرآن وفق حكمته تعالى ومشيئته وعلمه الأزلي المكتوب في اللوح المحفوظ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [سورة البروج: ٢١-٢٢].

(١) المصحف وقراءاته (٤١/١).

## المطلب السادس

## المكي والمدني

**يلاحظ اهتمام أصحاب المشروع بمبحث المكي والمدني، ومحاولة إثبات الاختلاف في تصنيف آيات الكتاب الكريم وتقسيمها إلى مكي ومدني[1]، للقول بتأثر القرآن الكريم بالوسط الذي أنزل فيه، وأنه خضع لظروف مختلفة، وتأثر ببيئات متباينة؛ للقول بتاريخيته.**

**وهي شبهات مهترئة سبقهم إليها المستشرقون الذين يرون أن القرآن قد اشتمل على أمور كثيرة متعارضة ومتناقضة في كثير من الأحيان وغير معقولة في أحيان أخرى.**

**وهذا أمر طبيعي ينسجم مع نظرتهم للقرآن، وأن مصدره بَشَرِيٌّ يتَّسم بالقصور والضعف وكثرة الخطأ، وما إلى ذلك مما هو من صفات البشر.**

(١) المصحف وقراءاته (٤٣/١- ٥١).

## المطلب السابع

## أسباب النزول

اهتم أصحاب المشروع بهذا المبحث وأولوه عناية فائقة، فوجود مناسبات وأسباب نزول لبعض آيات القرآن الكريم يعني عندهم أن الوحي مرتبط بالواقع، وأن الآيات مرتبطة بالتاريخ، فالوحي ليس أمرًا متجاوزًا لظرفي الزمان والمكان، بل هو قد حلَّ في التاريخ وأضحى موجهًا للوقائع، فارتبط بالمجتمع وبالتاريخ وبحياة الناس اليومية في زعمهم.

ويورد أصحاب المشروع أمثلة عدة لآيات لها مناسبات وأسباب ونزول، ويثيرون إشكالًا -كُرِّرَ في أكثر من موضع- هو الاختلاف في ذكر أسباب النزول للآية الواحدة بين العلماء والمفسرين[1].

مع أن مبحث أسباب النزول حَظِي بعناية كبيرة من العلماء والمفسرين؛ لأنه يُعِين على فَهْم الوحي، وهو مبحث خاضع إلى ضوابط علمية في التفسير ومناهج المفسرين.

وأما ما يتعلق بتعدُّد أسباب النزول مع أن النازلَ واحدٌ فقد فصَّل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذه المسألة قائلًا: (وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يرادُ به تارةً أنه سبب النزول، ويراد به تارةً أن ذلك داخلٌ في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عنى بهذه الآية كذا.

وقد تنازع العلماء في قول الصاحب[2]: نزلت هذه الآية في كذا، هل يجري مجرى المسنَد كما يذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسنَد؟ فالبخاري يُدخله في المسنَد، وغيرُه لا يُدخله في المسند.

وأكثر المساند على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره؛ بخلاف ما إذا ذكر سببًا نزلت عقبَه، فإنهم كلَّهم يُدخِلون مثلَ هذا في المسند.

وإذا عُرف هذا فقول أحدهم: نزلت في كذا، لا ينافي قول الآخر: نزلت في كذا، إذا كان اللفظ يتناولهما كما ذكرناه في التفسير بالمثال، وإذا ذكر أحدهم لها سببًا نزلت لأجله، وذكر الآخر سببًا فقد يمكن صدقُهما بأن تكون نزلَت عقب تلك الأسباب، أو تكون نزلت مرَّتين؛ مرة لهذا السبب، ومرة لهذا السبب، وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوُّع التفسير -تارة لتنوُّع الأسماء والصفات، وتارة لذِكْر بعض أنواع المسمَّى وأقسامه كالتمثيلات- هما الغالبُ في تفسير سلف الأمَّة الذي يُظَنّ أنه مختلِف)[3].

---

(١) انظر: المصحف وقراءاته (٧٢/١) و(٨٢/١).

(٢) أي الصحابي.

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤٠/١٣).

## المطلب الثامن

## الرسم العثماني للمصحف

**يحاول أصحاب المشروع أَشْكَلَةَ اختيار الرسم العثماني للمصحف بمحاولات عدة للتشغيب عليه(١)، وذلك بسرد مجموعة من الأمثلة التي يستدلون بها على عدم ثبات القراءة واختلافها في رسم المصحف! (٢)، ومما جاء في مشروعهم: (لقد حاول القدامى تقعيد رسم المصحف إيهامًا بوجود قواعد مضبوطة لرسم المصحف)(٣).**

**وغفل هؤلاء عن المزايا العدة للرسم العثماني، والتي هي معروفة عند جماهير المسلمين، ومن أهمِّها أنه يستوعِب عدةَ قراءاتٍ في الحرف الواحدِ، وأن عثمان رضي الله عنه قد أرسل مع كلِّ مُصحفٍ قارئًا يقرؤُه للناس؛ ليتَّفق اللفظ والخطُّ في الرواية، فلم يكن الاعتماد فقط على المصاحف المرسلة، وإنما على إرسال القرَّاء أيضًا يقول أبو محمد مكِّي بن أبي طالب -رحمه الله- (ت ٤٣٧ه): (وكان المصحَف إذ كتَبوه لم ينقطوه، ولم يضبطوا إعرابَه، فيمكن لأهلِ كلِّ مصر أن يقرؤوا الخطَّ على قراءَتهم التي كانوا عليها مما لا يخالف صورة الخط، فقرأ قوم مصحفَهم: (مِنْ كُلِّ حَدَبٍ) سورة الأنبياء: ٩٦، بالحاء والباء على ما كانوا عليه، وقرأ الآخرون: (مِنْ كُلِّ جَدَثٍ) بالجيم والثاء على ما كانوا عليه، وقرأ قوم: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ [سورة الأنعام: ٥٧] بالصاد على ما كانوا عليه، وقرأ قوم: ﴿يَقْضِ الْحَقَّ﴾ بالضاد على ما كانوا عليه، وكذلك ما أشبه هذا لم يخرج أحد في قراءته عن صورة خط المصحف، فهذا سبب جمع المصحف، وسبب الاختلاف الواقع في خطِّ المصحف) (٤).**

---

(١) انظر: المصحف وقراءاته (١/ ١١٦-١١٧).

(٢) انظر: المصحف وقراءاته (١/١٢٣).

(٣) المصحف وقراءاته (١/ ١٢٠).

(٤) الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، ط١، ١٤٢٧هـ، دمشق، دار المأمون للتراث، (ص ٦٩).

## المطلب التاسع

## التكرار

وهو من المباحث التي اشتغل عليها أصحاب المشروع؛ لافتراضهم وجود الحشو في القرآن الكريم وضعف في بنائه، وما ذلك إلا لجهلهم باللغة العربية وأسرار البيان، وكان جهلهم مركبًا أيضًا حين افترض أصحاب المشروع عدم عناية علماء المسلمين بهذا المبحث، وبنوا على افتراضهم نتيجة مفادها أن العلماء قد تغافلوا عن دراسة التكرار في القرآن لجهلهم، فيتساءل أصحاب المشروع: (لماذا كاد يُغْفِلُهُ القدامى أو يتغافلون عنه؟ ولا نعتقد أن الإجابة هيِّنة، بل تقتضي النظر والاستقراء، وتكاتف الجهود في سَبْر أغوار هذا المشغل المهم، الذي يمكن أن نسميه علمًا من علوم القرآن) [1]، وسِردوا أمثلة عديدة يستدلون بها على وجود التكرار في سور القرآن وآياته، ظنًّا منهم أن نقلهم لها يدعم شبهتهم والتي هي بمثابة ذر الرماد على العيون.

وهذا يدل على جهلهم بجهود علماء المسلمين الذين عرفوا أسلوب القرآن الكريم الخاص والمميز، والذي امتزج بلحمهم ودمهم، وتذوَّقوه بفصاحتهم وبلاغتهم، لا هؤلاء الذين لا يعرفون منه إلا مفردات الألفاظ وصور الجمل.

وذكر العلماء سبب التكرار في آيات القرآن الكريم ووضحوها في مصنفات عدة، ومن أقوالهم:

قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وليس في القرآن تكرار محض، بل لا بد من فوائد في كل خطاب)[2].

وقال السيوطي– رحمه الله –: (التكرير وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافًا لبعض من غلط، وله فوائد، منها: التقرير، وقد قيل: "الكلام إذا تكرَّر تقرَّر"، وقد نبَّه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [سورة طه:١١٣].

ومنها: التأكيد.

ومنها: زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقِّي الكلام بالقبول، ومنه ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ

---

(١) المصحف وقراءاته (١/ ٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٠٨ ).

﴿ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾[سورة غافر: ٣٨- ٣٩]، فإنه كرَّر فيه النداء لذلك.

ومنها: إذا طال الكلام وخُشِي تناسي الأول أُعِيدَ ثانيها تطريةً له وتجديدًا لعهده، ومنه ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾[النحل:١١٩]، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾﴾[النحل:١١٠] (١).

وقال القرطبي– رحمه الله –: (نزل القرآن بلسان العرب، ومن مذاهبهم التكرار؛ إرادةَ التأكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادةَ التخفيف والإيجاز؛ لأن خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد، قال الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن:١٣]، ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾[المرسلات:١٥]، ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾[النبأ:٤- ٥]، و﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾[الشرح:٥] كل هذا على التأكيد) (٢).

فهذه بعض أقوال علماء الإسلام وأئمته في أسباب وجود التكرار في القرآن الكريم، فقد وقفوا على مبحث التكرار وأَوْلَوْه عناية عظمى، لكن أصحاب هذا المشروع لا يُقَدِّرون جهود العلماء ولا يَعْتَدُّون بأقوالهم أصلًا؛ لأنها لا تتناسب مع حداثتهم، وقالوا: (ندرك إذًا أن مشغل التكرار مهم في دراسة الظاهرة القرآنية، ولا شك أن بإثباته في عملنا سيُسهم في تيسير السبيل بالنسبة إلى الدراسات المعاصرة؛ حتى تُعِيد النظر في كثير من المسلَّمات التي عُدَّت مقدمات أساسية لمقاربة مشاغل أهل القرآن) (٣)، ويتساءل القارئ عن قيمة هذه العمل! وماذا سيضيف! وكيف سيُسهم في تيسير الدراسات المعاصرة لهذا المبحث! مع أن هناك عددًا كبيرًا من علماء المسلمين قد كتب وألَّف في موضوع التكرار، وهم أصحاب تخصُّصات متعددة منهم: المفسرون وعلماء اللغة والبلاغيون وعلماء علوم القرآن وأهل الإعجاز، ومَن تصدَّى منهم للرد على الشبهات؛ فالمفسرون اهتموا بمعرفة أوجه التكرار، واعتنى بهذا المبحث الإمام البغوي (ت

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٨١ -٢٨٢ ).

(٢) تفسير القرطبي، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، القاهرة، دار الشعب، (٢٠/ ٢٢٦).

(٣) المصحف وقراءاته (١/ ٨٢).

٥١٦ هـ) في تفسيره "معالم التنزيل"، والإمام الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في "الكشاف"، والإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن الكريم"، وأصحاب علم متشابه القرآن اعتنوا بمسألة التكرار؛ منهم ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه العظيم "تأويل مشكل القرآن"، والكرماني (ت ٥٠٥ هـ) في سِفْره العظيم "البرهان في متشابه القرآن"، وهو مطبوع تحت مسمى "أسرار التكرار في القرآن"، والبلاغيون؛ فكثيرًا ما نلحظ ارتباط الدراسات البلاغية بالقرآن الكريم؛ لأنه مصدرُها ومركزها، وقد ألَّف أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في كتابه "الصناعتين"، وجلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ) في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة"، وأهل الإعجاز باعتبار ظاهرة التكرار قد تصدَّرت موضوعات إعجاز القرآن الكريم فهي وجه من وجوه الإعجاز، وقد كتب الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) عن التكرار في كتابه "بيان إعجاز القرآن"، والباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) في كتابه "إعجاز القرآن".

وأهل اللغة، فقد اهتم بمسألة التكرار ابن فارس (ت ٣٩٥ ه) في كتابه "الصاحب في فقه اللغة"، والثعالبي (ت٤٣٠ هـ) في كتابه "فقه اللغة وسر العربية"، وعلماء علوم القرآن، كتب الإمام الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) بحثًا عن التكرار في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، والإمام السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه "الإتقان في علوم القرآن "، وممن رد على الشبهات تحدَّث بعضهم عن مسألة التكرار، كما ألَّف ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) كتابه "تأويل مشكل القرآن"، والخطابي (ت ٣٨٨ هـ) وكتابه "بيان إعجاز القرآن".

وبعد كل ما سبق لا يجد الباحث أدنى عذر يلتمسه لأصحاب هذا المشروع الهدمي التخريبي، والذي يريد أن ينسف المصدر الإلهي لهذا الكتاب المجيد بتوظيف مباحث علوم القرآن للقول بتاريخية المصحف.

## الخـــــاتمة

وفي نهاية هذه القراءة الفكرية لمشروع "المصحف وقراءاته" أُدوِّن أهم النتائج والتوصيات، وهي:

### نتائج الدراسة:

(١) أن مشروع "المصحف وقراءاته" هو أحد مشاريع الحداثة العربية في آخر تجلياتها الفكرية، وقام بإخراجه فريق من الباحثين في الجامعة التونسية؛ بإشراف الدكتور عبد المجيد الشرفي.

(٢) أن أصحاب المشروع يحاولون عبثًا تقديم صياغة جديدة للمصحف، بما يتلاءم مع قيم الحداثة الغربية.

(٣) أن مجمل الشبهات والشكوك التي ملأ بها أصحاب المشروع مشروعهم هي شبهات أثارها المستشرقون قديمًا وحديثًا في القرآن الكريم، وهي رؤى تنسجم مع نظرتهم لنصوص الكتاب المقدس وتصوُّرهم للنصوص الدينية.

(٤) أن الخلفية الفلسفية التي ينطلق منها هؤلاء هي الخلفية المادية التي لا تؤمن بالمحور الغيبي والبُعْد الأخروي.

(٥) أن المنهج النقدي الذي قام عليه المشروع في نقد القرآن الكريم – "المصحف" بحسب اصطلاحهم - هو المنهج التاريخي، الذي لا يقرأ القرآن خارج الزمان والمكان.

(٦) أن المشروع ينظر للمصحف باعتباره مدونة تأثَّرت تأثيرًا كبيرًا بالسياسة كُتِبت في عصر عثمان رضي الله عنه، واستمر بقاؤها بحماية المؤسسة السياسية في العصر الأموي، وحتى طباعة المصحف في عهد الدولة السعودية.

(٧) أن المشروع قام بتوظيف مباحث علوم القرآن؛ كعلم النسخ، والتكرار، وأسباب النزول، والمكي والمدني، وعلم القراءات، وغيرها؛ للقول بتاريخية القرآن.

(٨) أن المشروع يقدِّم تصورًا عن عدم اكتمال القرآن الكريم، وحدوث الخطأ فيه بالزيادة والنقصان، ويحاول أن يبني تصوُّرَه بالتفتيش والبحث في كل طبعات المصحف ومخطوطاته، وخصوصًا مخطوطات صنعاء، واعتبارها بمثابة الكشف الجديد للطعن في القرآن الكريم.

### توصيات الدراسة:

(١) أوصي الأقسام الشرعية في الجامعات الإسلامية بضرورة تتبُّع المشروع تتبُّعًا تامًّا، ونقد كل جزئياته في بحث أو مشروع لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه.

**(٢) أوصي الكليات الشرعية والمختصين في علوم القراءات بضرورة الدراسة الموسَّعة لمخطوطات صنعاء، واستثمارها في بيان صحة القرآن الكريم، والاحتجاج بها على تواتر وصوله إلينا، خصوصًا وأن بعضها يرجع لعهد قديم جدًّا.**

**والله تعالى أعلى وأحكم وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.**

**الباحثـــــــــة**

## فهرس المراجع


(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وثلاثة آخرين معه، ط١، ١٤٣١٧هـ، دمشق، دار ابن كثير.

(٢) نزول القرآن على سبعة أحرف، لمناع بن خليل القطان، ط١، ١٤١١هـ، القاهرة، مكتبة وهبة.

(٣) الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، ط١، ١٤٢٧هـ، دمشق، دار المأمون للتراث.

(٤) النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد ابن الجزري، تصحيح ومراجعة: علي الضباع، دار الكتاب العربي.

(٥) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية "عرض ونقد"، للدكتور ناصر القفاري، ط٣، ١٤١٨هـ، دار الرضا.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط١، ١٤١٥هـ، لبنان، دار الكتب العلمية.

(٧) المصاحف، لابن أبي داود السجستاني، تحقيق: سليم الهلالي، ط١، ١٤٢٧هـ، غراس للنشر.

(٨) فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد عبد الواحد الخياطي، المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

(٩) المصاحف المنسوبة للصحابة والرد على الشبهات المثارة حولها "عرض ودراسة"، أطروحة دكتوراه، للدكتور محمد الطاسان، تقديم الدكتور إبراهيم الدوسري، ط١، ١٤٣٣هـ، الرياض، دار التدمرية.

(١٠) سنن الترمذي "الجامع الصحيح"، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث.

(١١) خلق أفعال العباد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، الرياض، دار المعارف.

(١٢) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، ط١، ١٤١٧هـ، مكة، مصطفى الباز.

(١٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: ابن قاسم، ١٣٨٦هـ، طبعة حكومة المملكة العربية السعودية.

(١٤) تفسير القرطبي، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، القاهرة، دار الشعب.

(١٥) أعمال مهداة للأستاذ عبد المجيد الشرفي، ط١، ٢٠١١م.

(١٦) أعلام الفكر العربي "مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة"، للدكتور السيد ولد أباه، ط١، ٢٠١٠م، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
(١٧) المصحف وقراءاته، تصنيف مجموعة من الباحثين، إشراف: الدكتور عبد المجيد الشرفي، ط١، ٢٠١٦م، الرباط/ لبنان، الموزع المعتمد: المركز الثقافي للكتاب، الناشر: مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع.
(١٨) العلمانيون والقرآن، للدكتور أحمد الطعان، تقديم: نور الدين عتر، ومحمد عمارة، ط١، ١٤٢٨ه، الرياض، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع.
(١٩) موسوعة لالاند الفلسفية، لأندريه لالاند، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط٢، ٢٠٠١م، بيروت، مكتبة عويدات.
(٢٠) المعجم الفلسفي، لجميل صليبا، ١٩٧٨م، بيروت، دار الكتب اللبناني.
(٢١) تاريخية القرآن في الفكر الحداثي العربي، للدكتور عبد الله بن محمد القرني، ط١، ١٤٣٩هـ، المملكة العربية السعودية، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.
(٢٢) دائرة المعارف الإسلامية، ١٤١٨هـ، طبعة القاهرة.
(٢٣) رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم، لمحمد عمارة، ط١، ١٤٣٢هـ، مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
(٢٤) موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين.
(٢٥) الفكر الإسلامي قراءة علمية، لمحمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، ط٢، ١٩٩٦م، بيروت، المركز الثقافي العربي، المركز الإنمائي القومي.
(٢٦) النص السلطة الحقيقة، لنصر حامد أبو زيد، ط٥، ٢٠٠٦م، بيروت، المركز الثقافي العربي.
(٢٧) الدين والنص والحقيقة "قراءة تحليلية في فكر محمد أركون"، للدكتور مصطفى الحسن، ط١، ٢٠١٢م، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث.
(٢٨) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، للدكتور عبد المنعم حفني، ط٣، ٢٠٠٠م، القاهرة، مكتبة المدبولي.
(٢٩) تاريخ القرآن، لنولدكه، ترجمة: جورج تامر، ٢٠٠٠م، دار جورج ألمز.
(٣٠) طروس صنعاء، "نقل القرآن خلال القرون الأولى"، للدكتورة أسماء الهلالي، ٢٠١٦م، منشورات أكسفورد باللغة الإنجليزية، The Sanaa Palimpsest : The Transmission of the Qur'an in the First Centuries AH" 2016

**المقالات:**

(٣١) **"التنوير في الإسلام والغرب من منظور الخبيرة الألمانية أنغليكا نويفرت"، للباحثة: أنيته شتاينيش، ترجمة: رائد ألبا، صحيفة نويه تسوريشر تسايتونغ، موقع قنطرة ٢٠١٨م**

(٣٢) **آرثر جفري بمجلة العالم الإسلامي:** The Muslim World, Volume 50 (1960), pp. 230-247 .

(٣٣) **مصاحف صنعاء، لأحمد وسام شاكر، بتاريخ: ٢٤/٤/ ٢٠١٤م، ملتقى أهل التفسير.**

**مراجع الإنترنت:**

(34) https://www.youtube.com/watch?v=6vOnkr37pL0
(35) https://vb.tafsir.net/tafsir47212/#.XkeygDJvbIU .
(36) https://quranmss.com/tag/tayyar-altikulac
(37) https://www.mominoun.com/auteur/325
(38) https://www.youtube.com/watch?v=fw7mMjbkk-Y .
(39) https://www.youtube.com/watch?v=8z0LI-WXz2zE
(40) https://www.youtube.com/watch?v=6vOnkr37pL0

(41) https://www.islamist-movements.com/41220
(42) http://www.bazmool.net/.
(43) https://www.kas.de/de/home
(44) https://www.alawan.org/2013/12/08/%D8%A5%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8-2/
(45) https://www.mominoun.com/contacts/aboutus

## فهرس المحتويات


| الموضـــــــــــــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | ٧٧ |
| **المبحث الأول التعريف بمشروع "المصحف وقراءاته"** | ٨٠ |
| أولاً: التعريف بموضوع المشروع: | ٨٠ |
| ثانيًا: التعريف بفريق العمل في المشروع: | ٨٠ |
| ثالثًا: المؤسسات الداعمة للمشروع: | ٨١ |
| رابعًا: خطورة المشروع: | ٨٢ |
| خامسًا: نماذج مصوَّرة من صفحات المشروع: | ٨٥ |
| **المبحث الثاني مصادر المشروع** | ٨٦ |
| **المبحث الثالث الأصول الفلسفية للمشروع** | ٩٤ |
| **المبحث الرابع توظيف مباحث علوم القرآن الكريم في القراءة التاريخية** | ٩٩ |
| المطلب الأول جمع القرآن وتدوينه | ١٠١ |
| المطلب الثاني اكتمال القرآن الكريم في المصحف | ١٠٤ |
| المطلب الثالث القراءات | ١٠٦ |
| المطلب الرابع ترتيب الآيات في القرآن الكريم | ١٠٩ |
| المطلب الخامس وقوع النَّسْخ في القرآن الكريم | ١١٠ |
| المطلب السادس المكي والمدني | ١١١ |
| المطلب السابع أسباب النزول | ١١٢ |

| الموضـــــــــــــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المطلب الثامن الرسم العثماني للمصحف | ١١٣ |
| المطلب التاسع التكرار | ١١٤ |
| الخـــاتمة | ١١٧ |
| نتائج الدراسة: | ١١٧ |
| توصيات الدراسة: | ١١٧ |
| فهرس المراجع | ١١٩ |
| فهرس الموضوعات | ١٢٣ |